رحلة المشتاق

الحج والعمرة

- الكتـــــــاب: رحلـــة المشتـــاق.. الحـج والعمـــرة
- المـؤلـــــــف: الدكتـور/ خالـــد أبـــو شـــــادي
- رقـــم الإيـــداع: (......./ ٢٠١١م)
- الترقيم الدولي: (I.S.B.N: ...../.....)

حقوق الطبع محفوظة

دار الرايـــــة للطباعـــــة والنشـــــر

الطبعـــة الثانيـــة للناشـــر

(١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م)

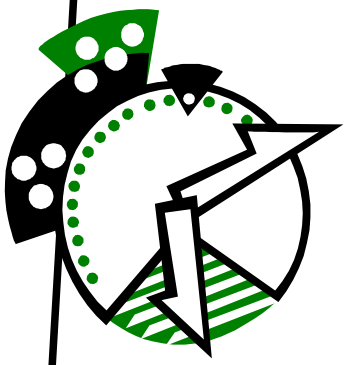

خمس دقائق فقط

قبل أن تبدأ القراءة.. أعط نفسك خمس دقائق.. خمس دقائق فقط.

ادع الله فيها أن يفتح قلبك لتتلقى الأنوار التي تشع من وراء الكلمات.. ويزيح الغشاوة عن عقلك ليصل الدواء فيورث الشفاء.. وتعمل هذه المعاني أثرها في روحك فتسمو في معالي الدرجات.. وترقى إلى فردوس الجنات.

ابدأ دعاءك الآن...

أيام هي الحياة
فقد الذاكرة دهرًا
نسي ربه الذي خلقه
بارز بالمعاصي الذي نفخ فيه من روحه
أعلن الحرب على من أسجد له ملائكته
إلى أن ذهب إلى هناك
ووقع بصره على البيت
فدبّت فيه الحياة
وقف بعرفة فدعا الله ورجاه
ذبح الهَدْي وذبح مع الهَدْي هواه
رمى الشيطان بالجمرات..
فقصم ظهره وأخزاه
تحرر من الأسر وكسر القيد
وعاد أخيرًا وهو يبكي من الفرح..
إلى رحاب مولاه

بين يدي هذه الرسالة

الحمد لله الذي جعل الكعبة البيت الحرام مثابة للناس وأمنًا، وخص بزمزم والمقام من زار بيته فرضًا ونفلاً، واصطفى للصفا والمروة من غمره حبًا ووصلاً، والصلاة والسلام على من أمرنا أن نأخذ عنه مناسك حجنا، ودلّنا على ما فيه خيرنا وسر نجاتنا.

أما بعد...

أيها الحجاج.. أنتم ضيوف الله وزوّاره، ووفدنا السنوي الذي يحمل وثيقة تجديد العهد مع الله..

أنتم أشراف الناس،

وأكرم الخلق على الله..

أيها المصطفون الأخيار... لو لم يحبكم ما دعاكم، ولا في بيته لقيكم وهداكم.. وها قد أذن لكم اليوم أن تعيشوا معه مرة في العمر بعد أن عشتم مع نعمه عليكم طيلة أيام حياتكم.

إخواني الحجاج.. رحلة القرب من الله قد ابتدت، بدأها الله من عنده بالحب والوصال، فأمر نبيه إبراهيم عليه السلام فيكم بالأذان: ﴿ **وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾ [الحج:٢٧]، قال: يا رب، وكيف أبلغ وصوتي لا ينفذهم؟ فقال: نادِ وعلينا البلاغ، فقام إبراهيم عليه السلام على جبل أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتًا فحجُّوه، فأسمع الله صوته من في الأرض، وأجابه الإنس والجن، ولبوا نداءه من بطون الأمهات وأصلاب الرجال، وكنتم من هؤلاء.. سمعتم.. فلبيتم.. فحضرتم إلى هنا، لسان حال الواحد فيكم:

لما سمعتُ نداء الله يدعوني ... شددت مئزر إحرامي ولبيتُ
وقلتُ للنفس جدِّي الآن واجتهدي ... وساعديني فهذا ما تمنيتُ
لو جئتكم زائرًا أسعى على بصري ... لم أقض حقًا وأي الحق أديتُ

أيها الحجاج.. كان إخوانكم من حجاج الرعيل الأول يذهبون إلى الحج ليتعلموا المزيد عن الإسلام، ويجددوا البيعة على الثبات عليه، ويقابلوا النبي ﷺ فيسألون ويتعلمون، ثم يعودون إلى بلادهم سفراء لهذا الدين وشهداء على الناس...

هل علمتم مهمتكم؟!
وهل فهمتم قدركم؟!

أنتم سفراء من لم يُكتب لهم الحج هذا العام، لتعودوا إليهم محمّلين بالنور العظيم والطُّهر العميم؟!

أنتم من تصلحون ما فسد.. أنتم من تزيلون ما تراكم على قلوب الخلق من ران وأقفال.

أنتم من وقع عليهم اختيار الله لهداية الناس وإنقاذ العالمين، أنتم من عناهم الله بقوله: ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة:من الآية ١٢٢].

لقد اعتبر الرسول ﷺ البلاغ أشرف مهماته ومنتهى واجباته، فقال في حجة الوداع: «ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد»، ليُصغي إليه كل حاج إلى يوم القيامة، ويُكلَّف بنقل الرسالة من بعده إلى من وراءه متجاوزًا حدود الزمان والمكان، وليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ويتكرر هذا البلاغ كل عام، ولا يستغرق أيام الحج فحسب إنما يستغرق ربع العام؛ لأن الحج أشهرٌ معلومات: شوال وذو القعدة وذو الحجة.

أهداف الكتاب السبعة

ألم تسألوا أنفسكم يومًا هذا السؤال:
لماذا فرض الله الحج مرة واحدة في العمر فحسب.. بعكس الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات؟!

كأن المراد أن تتعلموا كيف تشحذون هممكم وتجمعون طاقاتكم؛ لأن الفرصة قد لا تتكرر، والتجربة قد تكون الأولى والأخيرة، ولعل هذا هو السر في اشتراط الإسلام شرط الاستطاعة لأداء فريضة الحج، ليتمكن صاحبها من أدائها بإتقان وإحسان؛ لأنها فريضة ستؤدى مرة واحدة في العمر كله.

فلا تفوتنكم أهداف هذه الرحلة..
عضوا عليها بالنواجذ:

١ متعة روحية

أن يكون حجكم متعة روحية هائلة عن طريق فهم أسراره ورموزه، وسبر أغواره وحكمه، فتنفتح لكم آفاق التخطيط بعناية وجدية لرحلة مباركة مليئة بالنفع والخير والمعاني التي لم تذوقوها قبل اليوم.

٢ كسر الرتابة

أن لا يتحوّل حجكم إلى حركات لا روح فيها.. ومناسك لا ثمرة من ورائها.. في زمن تحوّلت فيه كثير من العبادات إلى لون من الآلية والتكرار، ونمط من العادات الرتيبة تجعل الكثيرين لا يحسون بأي فارق قبل الطاعة وبعدها.. حتى تحول الحج عند هؤلاء إلى حمل ثقيل يريد المرء منهم أن يلقيه عن عاتقه فحسب.

٣ حلاوة المشقة

أن تخف عليكم المناسك الشاقة بل تحلو في عيونكم وتلذ في قلوبكم، وتغلب حلاوتُها مشقتها، وتهزم لذّتُها صعوبتها.

٤ مضاعفة الثواب

أن تعدِّدوا نواياكم لتعظِّموا أجوركم وتضاعفوا ثوابكم، فكم من حاج رافق حاجًا وبين ثوابهما أبعد ما بين السماء والأرض؛ لأن عبادات القلوب لا حد لثوابها ولا منتهى لمضاعفاتها، الكل في الحج يتعب لكن الأجور تتفاوت والدرجات تتوزع بحسب محتوى القلوب ومكنون الضمائر. قال **ابن القيم**: «تفاضل الأعمال عند الله بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها».

٥ ثمرة التقوى

أن تعظِّموا شعائر الله وتزيدوا مهابتها في قلوبكم؛ لتجنوا في نهاية رحلتكم المباركة ثمرة (**التقوى**) حلوة شهية: ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ** ﴾ [الحج:٣٢].

٦ إيقاظ المشاعر

أن تغتنموا هذه الفرصة العظيمة المتمثِّلة في زيارة هذه البقاع الطاهرة، فتوقظوا مشاعركم التي أخمدتها رياح المادية الصرصر العاتية، وتنسلخوا من عبودية الدنيا، وتتحرروا من قيودها الصارمة، فإنكم إن لم تفعلوا استحكم المرض وأعيى الداء، وكنتم في أمس الحاجة إلى أن تقرؤوا مثل هذه الرسالة عسى الله أن يشرح بها الصدور، ويبعث بها من في القبور، الحج تجارة أيام تجلب ربح أعوام، فكيف لا يغتنمه عاقل ويزهد فيه تاجر؟!

٧ الحكم الإلهية

أن تغوصوا في عمق التجربة.. في محاولة بشرية متواضعة مني لاستخراج الحكم الإلهية من هذه العبادة الربانية التي كلما أمعنت فيها النظر انهمرت علي العبر، إن أصبت فيها فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

صحيح أن الأصل في العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعاني، وأن الغاية منها: العبودية الكاملة لله والخضوع له، وأن العبد لا يحق له أن يسأل سيده عن سر تكليفه، لكن هذا كله لا يمنع أبدًا من معرفة الحكم والتماسها، خاصة وأن الذي فرض علينا هذه العبادات نصَّ على بعض حِكَمها فقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: من الآية ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: من الآية ١٠٣]، وقال: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٣].

أسرار الحج

إن فهم أسرار الحج وحكمه لهو أعظم المنافع وأغلاها، وقد قدّم الله شهود هذه المنافع على ذكره سبحانه فقال: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾ [الحج: من الآية ٢٨]، ومتى ما جهل الناس حكمة العمل العظيم أصبح العمل العظيم صغيرًا، إذ يؤدّى بغير روح، ويُقصد به غير ما أراد الله، وينصرف عنه أكثر الناس، وتقل فائدته أو تنعدم، وكأنّ المسلمين اليوم أخذوا بنصف هذه الآية وتركوا نصفها، أو إن شئت قلت إنهم لم يفهموا إلا أحد الشقين فحسب!!

عبَّر **حافظ بك عامر** عن هذه الحال بقوله: «عاد الحج أشبه بتمثيل رواية لا حكمة فيها ولا طائل من ورائها، وصار معظم أهل الحجاز يحسبون الحجيج رزقًا ساقه الله إليهم ولا شيء أكثر من أنهم رزق، فيعاملونهم معاملة تجارية لا قدسية فيها ولا روحانية، وينقلب الحج بذلك نزاعًا بين هؤلاء وأولئك، وتستعلن في تلك البقاع المقدسة روح السوق وروح التجارة لا روح الإسلام ولا روح الحج».

وإعانة لكم على الوصول إلى أهداف هذه الرحلة...

فقد أوردت كثيرًا من أخبار الصالحين في الحج حتى نقتفي الأثر وننسج على المنوال، فنرجع أقوى عزيمة وأعلى همة وأطهر روحًا، ونعود وقد اغتسلنا من الذنوب السالفات، وقلبنا صفحة السيئات لنسطر في صفحات الحسنات أروع الطاعات وأزكى القربات.

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب ليس كتابًا فقهيًا، وليس موضوعه البحث في تفاصيل أداء المناسك، فقد أضفت ملحقًا خاصًا بأحكام الحج والعمرة في آخر الكتاب.. وراعيت فيه أن يكون مختصرًا سهلاً مبسطًا بعيدًا عن التعقيد والإطالة والتعرض لمسائل الخلاف التي لا تعني سوى المتخصصين.

لن تنقضي العبارات، ولن يسعفني المداد في وصف ما سوف تشعرون به من اللذات الغامرات، لكن حسبي أنكم ستذهبون إلى هناك، ودقيقة واحدة هناك تُغنيكم عن آلاف من الصفحات.

إخواني.. رحلتكم المباركة تبدأ من هنا، فأولى خطوات الرحلة قراءة هذه الصفحة، أعلم أن كلامي لا يليق بمقامكم، وأن رسالتي عاجزة عن مخاطبة أمثالكم، لكن حسبي أن حديثي..

يكون أُجاجًا قبلكم فإذا انتهى ... إليكم تلقّى طيبكم فيطيب

ويكفيني شرفًا ويفضل عليّ كرمًا أني بهذه الرسالة أنال مثل ثوابكم وقد دللتكم على الخير الوفير، وأطمع في أن أفوز بدعائكم وشفاعتكم لشخصي البائس الفقير، وأحظى بعطفكم وإحسانكم على أخيكم المستجير.

لعلّ كتابي أن يكون مذكّرًا ... لكم بالدّعا بالعفو حين أغيب
ولاسيما بعد الممات عسى به ... يطيب مقام أو تُزال ذنوب

الفقير إلي عفو ربه ورضاه

رحلة المشتاق

الحـج و العمرة

أولا:

فضل الحج والعمرة

فضل
الحج والعمرة

فضل العمرة وثوابها

العمرة لغة واصطلاحاً

لغة: الزيارة، ويقال: اعتمر البيت أي زاره، وأعمره أي جعله عامرًا، والمعتمر: الزائر القاصد للشيء، فمن معاني العمرة إذن: الزيارة، والقصد، وجعل المكان عامرًا آهلاً.

واصطلاحاً: زيارة بيت الله الحرام للطواف والسعي، فركناها الطواف حول البيت، والسعي بين الصفا والمروة.

وهدفي من سرد هذه الفضائل أن أُبصِّرك أخي المشتاق بما أنت مُقدِم عليه من الفضل والثواب، وما يستوجبه ذلك من الشكر في حقك يا من اصطفاه ربه واجتباه، والشوق في حق من حُرم الزيارة.. فواحسرتاه.

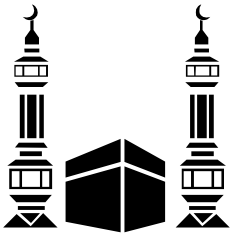

كان وهيب بن الورد يُسأل عن ثواب شيء من الأعمال كالطواف ونحوه، فيقول: لا تسألوا عن ثوابه! ولكن سلوا ما الشكر الواجب على من وفِّق لهذا العمل نظير توفيق الله وإعانته عليه؟!

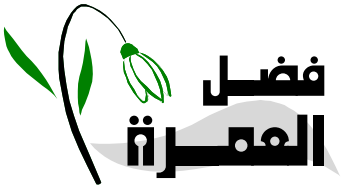

(١) الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب:

عن **جابر** ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد**»[(١)].

وخصّ الحديد بالذكر؛ لأنه من أشد المعادن صلابة وأكثرها خبثًا، إشارة إلى أن الفقر وإن اشتد، والذنوب وإن عظمت؛ يزيلهما المداومة على الحج والعمرة.

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٥٣ في صحيح الجامع.

(٢) الحاج والمعتمر في رعاية الله وحفظه:

وهذا الضمان ضمان حفظ وأمن للمعتمرين حتى يرجعوا، أو ضمان جريان أجرهم إلى يوم القيامة إن لم يرجعوا. قال ﷺ: «**من خرج حاجًا فمات كتب الله له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرًا فمات كتب الله له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازيًا في سبيل الله فمات كتب الله له أجر الغازي إلى يوم القيامة**»(١).

(٣) كفارة لما بينهما:

قال رسول الله ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما من الذنوب والخطايا**»(٢). وهذا حث خفي وتنبيه ندي وتلميح شجي على استحباب تكرير العمرة والإكثار منها؛ لأن التكفير مشروط بفعلها ثانية، وأنت إذا لم تؤدِّ الشرط فاتتك الفائدة.

(٤) عمرة في رمضان تعدل حجة:

جاءت أم سليم رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ فقالت: حج أبو طلحة وابنه وتركاني، فقال: «**يا أم سليم عمرة في رمضان تعدل حجة معي**»(٣). وهذا فضل من اللهّ ونعمة حيث أنزل العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها، ولذا يسن الإكثار من العمرة في رمضان.

---

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٥٥٣ في السلسلة الصحيحة.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٤١٣٥ في صحيح الجامع.
(٣) (صحيح) انظر حديث رقم: ١١١٨ في صحيح الترغيب والترهيب.

(٥) أجـــرك على قـــدر تعبـــك ونفقتـــــك:

عـن عائشـة رضي الله عنهـا أن رسـول الله ﷺ قـال لهـا في عمرتهـا: «**إن لك مـن الأجـر عـلى قـدر نصـبك ونفقتـك**»[1]. وكـأن رسـول الله ﷺ بهذه البشارة يمرّ بيده الحنونة على كل معتمر فيمسح عنه أي تعب يلقـاه، ويهوِّن عليه كل مال ينفقـه في سبيل الله، مبشـرًا إياه أن ما عند الله خير وأبقى وأزكى وأغلى وأرقى وأسمى وأدوم وأعـلى.

فضـــل الحـــج وثوابـــه

الحـــج لغـــة واصطـلاحـــًا

لغـــــــة: على معـان رئيسـة أربعـة، وهي كمـا يلـي:

- ← **القَصْـد والقـدوم**، حَجَّـهُ أي قَصَـدَه، أو هـو كثـرة القصْـد لمُعَظَّـم رجـاء نفعـه وخـيره، وحَـجَّ علينـا فـلانٌ أي قَـدِمَ.
- ← وهو **الغَلَبـة بالحُجَّـة**، وفي الحَدِيث: «**فحَجَّ آدَمُ مُوسَى**» أي غلبَه بالحُجَّـة.
- ← وهـو **كثـرة الاخْتـلاف والـتَّرَدُّد**، وقـد حَـجَّ القـومُ فُلانًـا إذا أكثـروا الاختلاف إليـه، وحَجَجْتُـه أي أتيْتُـه مَـرّةً بعـد مـرّةٍ.
- ← وهـو مـن **المحجَّـــة** وهـي جـادة الطريـق، وفي الحـديث: «**تـركتُكم عـلى المحجـــة البيضـــاء**».

---

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١١١٦ في صحيح الترغيب والترهيب.

وهذه المعاني كلها تجدها في الحج، فهو قصد **مُعظَّم والقدوم عليه** وهل أعظم من الله! وهو أيضـًا **الغلبة بالحُجَّة**؛ لأن الله أقام به الحُجَّة على كل حاج، وفيه **كثرة الاختلاف والتردد**؛ لأَن الناس يأْتُون البيت كلَّ عام، وفيه **المحجة**؛ لأن الحج يهدينا الطريق القويم ويصحِّح مسارنا في الحياة إن ضللنا أو انحرفنا.

أما الحج اصطلاحـًا: فهو شعيرة الإسلام التي يقصد بها المسلمون البيت الحرام في زمن مخصوص بنية أداء المناسك من طواف وسعي، ووقوف بعرفة... وغيرها.

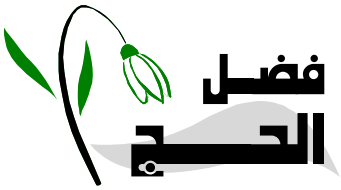

(١) الحج يهدم ما كان قبله:

عن **عمرو بن العاص** ﷺ قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: ابسط يدك لأبايعك، فبسط، فقبضتُ يدي. قال: «مالك يا عمرو؟» قلت: أشترط. قال: «تشترط ماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله**»[1].

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٣٢٩ في صحيح الجامع.

وهذا ما ورد في الحديث: «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»(١).

وهذه رسالة بعثها الله إليك مفادها: إذا كنت قد قصّرتَ في الماضي فها هو سبحانه يخلقك من جديد، ويسويك بقدرته الربانية في صفاء ونقاء عجيب.

في المشتاق...

الحج حرفان: حاء وجيم، فالحاء حلم من الرب، والجيم جُرْم من العبد... فمن حج البيت فقد أدخل صغير جرمه في عظيم حلم الله فربح البيع وكان الفوز وأعظم فوز.

(٢) الحج من أفضل أعمال البر:

عن **أبي هريرة** ﷺ قال: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**». متفق عليه، وفي الحديث: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»(٢).

---

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٦١٩٧ في صحيح الجامع.
(٢) (حسن) انظر حديث رقم: ٣١٧٠ في صحيح الجامع.

ومعنى (**الحـج المـبرور**) أي الذي يقابله الله بالبر وذلك بأن يقبلـه، وقالوا في تعريفـه أنـه:

← الـذي لا يخالطـه شيء مـن الإثـم.

← وقيـل أن يرجع خيرًا مما كان عليه.

← وقيـل أن يرجع زاهـدًا في الدنيـا راغبـًا في الآخـرة.

← وقيـل الذي لا رياء فيه ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق.

← وقيـل أنه إطعام الطعام، وطيب الكلام، وإفشاء السلام.

والصحيـح أنـه يشمـل ذلـك كلـه.

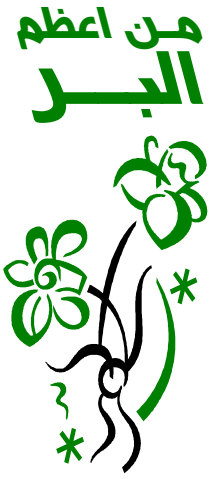

أن تبر إخوانك الحجاج وتحسن إليهم وتكون عونًا لهـم وفي خدمتهـم، فهـذا مـن أعظـم ألـوان الـبر في الحـج، وبدونـه يتحـول هـذا العـدد الهائـل مـن الحجـاج إلى متنـازعين متشاكسـين لا مـودة بينهم.. بل عـداء، فيظفر بهـم الشيطـان ويوقعهم في شباكه. قـال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبـده المصلـون ولكـن في التحريـش بينهـم**»[1].

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ١٦٥١ في صحيح الجامع.

كان **عامر بن عبد قيس التميمي** إذا أراد الغزو وقف يتوسم الرفاق، فإذا رأى فئة قال: يا هؤلاء.. إني أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال، فيقولون: ما هي؟! قال: أكون لكم خادمًا لا ينازعني أحد في الخدمة، وأكون مؤذنًا لا ينازعني أحد في الأذان، وأنفق عليكم بقدر طاقتي، فإذا قالوا نعم انضم إليهم، فإن نازعه أحد منهم شيئًا من ذلك بحث عن غيرهم.

وكان **عبد الله بن المبارك** [ت: ١٨١ هـ] إذا أراد الحج جمع أصحابه وقال: من يريد منكم الحج؟ فيأخذ منهم نفقاتهم، فيضعها في صندوق ويغلقه، ثم يحملهم وينفق عليهم أوسع النفقة، ويطعمهم أطيب الطعام، ثم يشتري لهم من مكة ما يريدون من هدايا، ثم يرجع بهم إلى بلده، فإذا وصلوا صنع لهم طعامًا، ثم جمعهم عليه، ودعا بالصندوق الذي فيه نفقاتهم فردّ إلى كل واحد نفقته!!

(٣) الحجـــاج والعمـــار وفـــد اللـــه:

قال رسول الله ﷺ: «**الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم**»(١).

والوفد هم الذين يقصدون الأمراء لزيارة وإقامة ونحو ذلك، وأنت تعلم ما يُفعل مع الوفود من البشر من حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة، وهذا حال البشر مع البشر، فما بالك باستقبال رب البشر للبشر؟!

ومن عظيم الكرم ومنتهى الجود أن هذا الوفد يُكرم قبل أن يصل وتُغدَق عليه الهدايا بينما هو في الطريق. قال ﷺ: «**ما ترفع إبل الحاج رجلاً ولا تضع يدًا إلا كتب الله تعالى له بها حسنة أو محا عنه سيئة أو رفعه بها درجة**»(٢).

قال علي بن الموفق: حججتُ ستين حجة، فلما كان بعد ذلك، جلست في الحِجْر أفكر في حالي، وكثرة ترددي إلى ذلك المكان.. ولا أدري هل قُبل مني حجي أم رُدّ.. ثم نمت فرأيت في منامي قائلاً يقول لي: هل تدعو أنت إلى بيتك إلا من تحب؟! فاستيقظتُ وقد سُرِّي عني.

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ٣١٧٣ في صحيح الجامع.
(٢) (حسن) انظر حديث رقم: ٥٥٩٦ في صحيح الجامع.

(٤) الحـــج جهـــاد وأعظـــم جهـــاد:

قال رسول الله ﷺ: «**نعم الجهاد الحج**»[١].

وقال: «**لكن أحسن الجهاد وأجمله: حج مبرور**»[٢].

وذلك لأن الحج أخو الجهاد في المشقة وبذل المال والنزوح عن الوطن ومفارقة الأهل وإيثار ما عند الله... والحجاج مثل الجنود في ارتدائهم زيًا موحّدًا، وانتظامهم انتظامًا واحدًا، واتجاههم وجهة واحدة، وتحرّكهم بفكرة واحدة وكأنهم جيش نظامي... وتأمل تجرّدهم من قانون الحياة العادية، والتزامهم بقانون آخر صارم غاية الصرامة لا يمكن التسامح فيه ولو بكلمة شاذة من رفث أو فسوق وإلا بطل الحج وضاع هباءً منثورًا... وتأمل طاعتهم لأي أمر يصدر إليهم وتنفيذه على الفور كأنهم في ساحة قتال.

ومن ثم جعل النبي ﷺ الحج أحد الجهادين، وجعله جهادًا للمرأة؛ لأنها لا تقوى على القتال، فقال لعائشة رضي الله عنها: «**جهادكن الحج**»[٣]. بل وجعل ذلك جهاد كل الضعفاء، فقال ﷺ: «**الحج جهاد كل ضعيف**»[٤].

---

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٧٦٩ في صحيح الجامع.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٥١٦٠ في صحيح الجامع.
(٣) (صحيح) انظر حديث رقم: ٣١٠٢ في صحيح الجامع.
(٤) (حسن) انظر حديث رقم: ٣١٧١ في صحيح الجامع.

(٥) المدهش في فضل الحج:

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك، يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة، وأما وقوفك بعرفة، فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، فيقول: هؤلاء عبادي.. جاءوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي ولم يروني، فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج - أي متراكم - أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبًا غسلها الله عنك، وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك، وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك»[1].

(٦) الحج أبو العبادات:

تتضمن مناسك الحج وشعائره كل أنواع العبادات من صلاة وصيام وصدقة.. فيدخل في الحج أداء ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم، ومن كفارات الحج الصيام والهدي.. وعلى هذا فالحج عبادة قائمة على ألوان العبادات جميعًا، والتي تشغل القلب والقالب، وتتمكن من الظاهر والباطن.

---

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ١٣٦٠ في صحيح الجامع.

ولذا كان **أبو حنيفة** [ت: ١٥٠ هـ] يفاضل بين العبادات قبل أن يحج، فلما حج فضّل الحج على العبادات كلِّها.

ويبرِّر ذلك مفتي البصرة **أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي** [ت: ٩٣ هـ] بقوله: «رأيتُ الصلاة تهلك البدن دون المال، والزكاة تهلك المال دون البدن، والحج يهلكهما معًا، لذا فهو أفضل الأعمال».

وبعبارة أخرى يقول **ابن الجوزي** [ت: ٥٩٧ هـ]: «فالصلاةُ والصيامُ يجمعان سببين من هذه الثلاثة: عقد القلب وفعل البدن، والزكاة تجمع سببين: عقد القلب وإخراج المال، والحج يجمع الأركان الثلاثة؛ فبان فضله، ثم إن إنهاكه للبدن أشدُّ، وإجهادُه للمال أكثر».

وقد بيّن **الإمام الكاساني** كغيره من العلماء فضل الحج على غيره من العبادات فقال: «في الحجِّ إظهارُ العبوديّة وشكرُ النعمة، أما **إظهارُ العبوديةِ** فهو إظهارُ التذلُّلِ للمعبود، وفي الحجِّ ذلك؛ لأنّ الحاجَّ في حالِ إحرامِه يُظهِرُ الشَّعَثَ ويرفضُ أسبابَ التزيُّن، ويظهر بصورة عبد سَخِطَ عليه مولاه؛ فيتعرَّض بسوء حاله لعطف مولاه.. وأما **شكرُ النعمة**؛ فلأن العبادات بعضها بدنية، وبعضها مالية، والحجُّ عبادة لا تقوم إلا بالبدن والمال؛ ولهذا لا يجب إلا عند وُجودِ المالِ وصحةِ البدن، فكان فيه شكرُ النِّعْمتَيْن، وشكرُ النعمة ليس إلا استعمالها في طاعة المُنْعِم، وشكرُ النعمةِ واجبٌ عقلاً وشرعًا».

رحلة المشتاق

الحـج و العمرة

ثانيا:

قبل الرحـــلة

قبل الرحلة

(أ) عبادات قلبية

هذه خمس عبادات قلبية لابد لك منها حتى تجني ثمار رحلتك وتحصد غراس تعبك.

(١) الفهم:

افهم شرف هذا البيت الذي تذهب لزيارته، ولو لم يكن له شرف إلا إضافة الله إياه إلى نفسه بقوله: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ [الحج: من الآية ٢٦] لكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرفًا...

بل ونصبه مقصدًا لعباده، وجعل ما حوله حرمًا تعظيمًا لأمره، فاستشعر بركة هذا البيت.

فمن بركته أنَّ حجارته وضعَتْها يدُ إبراهيم عليه السلام ويدُ إسماعيل عليه السلام عند بنائه، ثم يدُ محمد ﷺ عند وضعه الحجر الأسود.

ومن بركته اختيار الله له، ولله در الشيخ **الشعراوي** رحمه الله حين قال: «وإذا كانت المساجدُ في جميعِ بقاعِ الأرضِ بيوتَ الله وفيها نتقربُ إليه بالجماعةِ والاجتماعِ على الذكرِ والاعتكافِ مع أنها بيوتُ الله ولكنْ باختيارِ عِباده؛ فكيف يكون التقربُ إلى الله في بيتِهِ الذي اختاره؟!».

ومن بركته أن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة، وكذلك الحسنة بمائة ألف، بينما في غيره بعشر حسنات.. ومن بركته أنك تمتنع فيه عن الآثام وتلزم الإنابة.

ومن بركته اتساع المكان فيه لهذه الأفواج الهائلة والجموع الحاشدة.. ومن بركته اتساع القلوب فيه لتحمل الزحام.

ومن بركته أن الأفئدة تهوي إليه استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ **فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ** ﴾ [إبراهيم: من الآية ٣٧]، فافهم معنى ﴿ **أَفۡـِٔدَةٗ** ﴾ لتدرك أن الرحلة ليست رحلة أجساد غائبة.. بل رحلة قلوب مشتاقة وأرواح منقادة تنجذب إلى بيت الحبيب رغمًا عنها، وتسعى إليه دون أن تشعر.

ومن الفهم أن تفهم أن الله قد اختارك من وسط مئات الملايين لتنال شرف الزيارة وتشهد كرامة اللقاء، فكم من كافر على وجه

الأرض حُرِم نعمة الإسلام؟ وكم من عظيم ورئيس أغلق دونه الباب؟ لقد اختارك الله دون الكثيرين واختصك بالفضل عن غيرك من المسلمين، بل ذلّل لك كل العقبات، فلم يمنعك ضعف صحة أو قلة مال أو كثرة عيال، فما أعظم كرامتك على الله وما أغلى مكانتك عنده.

(٢) التوبة:

أخي المشتاق.. إياك أن تبني صرح حجك على شفا جرف هار، فتحج وأنت تنوي أن تعود إلى المعصية، وإلا فكيف تفد بيت الله، وتدعوه أن يغفر لك ويرحمك وقد عقدت العزم على محاربته بعد عودتك؟! من أراد أن يدق باب الحرم بيده غدًا فليطرق باب التوبة بقلبه اليوم، فالذنوب عوائق عن الوصول، بل حتى وإن وصلت البيت فالمعاصي موانع تحول بينك وبين القبول.

ويضرب لذلك الشيخ **علي الطنطاوي** أجمل مثل فيقول: «هل ترتفع الطائرة إذا أثقلتها بالحديد، وحمّلتها أضعاف ما تريد، ثم ربطتها بحبال الفولاذ إلى صخور الجبل؟! إنها لا ترتفع إلا إذا خفّفت أحمالها، وكذلك الأعمال: فإذا أردتم أن يصعد حجكم فخففوا عن عواتقكم أثقال الذنوب، واقطعوا الحبال التي توثقكم بأرض الشهوات أو حُلّوها».

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

قال **ابن القيم** [ت: ٧٥١ هـ]: «هذا من أعظم ما يُعرِّف العبدُ قدر التوبة وفضلها عند الله، وأنها غاية كمال المؤمن، فإنه سبحانه أعطاهم هذا الكمال بعد آخر الغزوات، بعد أن قضوا نَحْبَهم، وبذلوا نفوسَهم وأموالَهم وديارَهم لله، وكان غايةُ أمرِهم أن تاب عليهم، ولهذا جعل النبي ﷺ يوم توبة **كعب بن مالك** خير يوم مرَّ عليه منذ ولدته أمُّه».

(٣) الشـــــــــــــــــوق:

فيتحقق بأن تستشعر أنك تطأ بقدمك موضعًا وطأته قدم رسول الله ﷺ ترابًا مشى عليه الحبيب، ولعلك تبكي من خشية الله فيسيل دمعك على تربة سقتها دمعة صحابي أو رواها دم نبي، وتتنفس نسمات هواء ملأت صدور خير خلق الله، وها هي الآن تملأ صدرك لتزيدك شوقًا وتغمرك حبًا وتعيد إليك ذكريات الكرام المرسلين والصحاب الأولين.

هنا بمكة آي الله قد نزلت ... هنا تربى رسول الله خير نبي
هنا الصحابة عاشوا يصنعون لنا ... مجدًا فريدًا على الأيام لم يشُبِ

وقد أخرج البخاري عن **سالم بن عبد الله بن عمر** رضي الله عنهم في كتاب الحج باباً سماه باب قول النبي ﷺ: «**العقيقُ وادٍ مُبارَك**»:

«قد أناخ بنا سالم يتوخّى بالمُناخِ الذي كان عبد الله يُنِيخُ يتحرَّى مُعَرَّسَ رسول الله ﷺ وهو أسفل من المسجد الذي ببطن الوادي»، والمُعَرَّس: موضع النزول، والتعريس: النزول آخر الليل، والنزول في هذا المكان ليس من مناسك الحج، وإنما فعله من فعله من أهل المدينة تبركاً بآثاره ﷺ.

ومن الشوق أن تدرك أنك تزور رب البيت لا البيت، وتطلب القرب من الغفار لا من الأحجار، ولذا جاء في الحديث: «**إن الله تعالى يقول: إن عبدًا أصححت له جسمه ووسعت عليه في معيشته تمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ لمحروم**»[1].

وتأمل قوله تعالى: «**لا يفد إليّ**» ولم يقل إلى بيتي، فالحج ليس إلا رحلة إلى الله، فبالله كيف لا يكون محرومًا من لا يرحل إلى الله سبحانه تعالى؟!

لكنك وإن زرته في بيته فلن تراه اليوم، فحدّث نفسك بيوم تنجلي فيه الحُجُب عن الله فتنظر إلى وجهه الكريم ولا تستعظم على ربك أن يمُنّ عليك بهذا الفضل العظيم فقد مَنّ عليك بزيارة بيته الكريم.

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٩٠٩ في صحيح الجامع.

قال الرسول ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتُنَجِّنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم**»(١).

ومن الشوق أن الناس يثوبون إلى البيت كلما فارقوه، ويشتاقون إليه فور أن يتركوه، ولا يشبعون منه أبدًا، كحجر المغناطيس يجذب الحديد؛ لأن من ذاق لذة القرب عرف، ومن شرب من نهر الحب اغترف. قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا** ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥].

من سادات المشتاقين

قال شيخ الإسلام **سفيان بن عيينة** [ت: ١٩٨ هـ]: شهدتُ ثمانين موقفًا (وقفة بعرفة)، وكان من شده شوقه وحبه يدعو الله في كل موقف: اللهم لا تجعله آخر العهد بك، وعلم الله صدق محبته وشدة شوقه فاستجاب دعاءه ولم يحرمه، فلما كان العام الذي مات فيه لم يقل شيئًا، فسئل عن ذلك فقال: قد استحييتُ من الله تعالى.

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٢٣ في صحيح الجامع.

خذوني خذوني إلى المسجد ... خذوني إلى الحجر الأسود
خذوني إلى زمزم علّها ... تبرد من جوفيَ الموقد
خذوني لأستار بيت الإله ... أشد به في ابتهال يدي
دعوني أحطّ على بابه ... غزير الدموع وأستنفد

كان السلطان **ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان** [ت: ٣٨٥ هـ] يتأمل الحجاج يومًا فرقّ قلبه واشتاق إلى البيت، فنزل عن فرسه، وسجد وعفّر وجهه في التراب، وبكى، وقال لهم: بلّغوا سلامي إلى رسول الله ﷺ، وقولوا له: العبد العاصي يقول لك: يا نبي الله.. لو كنت أصلح لتلك الحضرة المقدّسة لكنت في الصحبة، فضجّ الناس في البكاء ودعوا له.

قال عبد الله بن الإمام **أحمد بن حنبل** [ت: ٢٤١ هـ]: حجّ أبي خمس حجات.. ثلاث حجج راكبًا واثنتين ماشيًا، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهمًا، وكان من شدة شوقه أنه إذا لم يجد زاد الحج عمل حمّالاً للقافلة ليغطي تكاليف الرحلة ولا يُحرم.

خرجت **أم أيمن زوجة أبي علي الروذباري** من مصر وقت خروج الحجيج، ورأت الجمال وهي تتوجه إلى مكة فصرخت: واضعفاه.. واعجزاه.. واحسرتاه، ثم زاد بكاؤها وعلا نحيبها أكثر وأكثر وهي تقول: هذه حسرة من انقطع عن البيت.. فكيف تكون حسرة من انقطع عن رب البيت؟!

لسان حال القوم: لئن سار الناس وقعدنا.. وقربوا وبعدنا.. فنخشى أن نكون ممن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين.

(٤) العزم:

من العزم مفارقة راحتك ورفاهيتك التي كنت تجدها في بيتك طلبًا لثواب الله.

ومن العزم أن تجعل عملك خالصًا لوجه الله، فلا تحج طلبًا للسمعة أو الشهرة، أو سعيًا للمنفعة والتجارة، نعم يحل لك في الحج أن تتاجر على أن لا يكون ذلك مقصدك في الأساس، وبهذا يكون سفر الحج خير الأسفار على الإطلاق.

ولذا حين رأى **عمر بن الخطاب** ﷺ نفرًا من الحجاج يومًا وهو بطريق مكة فقال: تشعثون وتغبرون وتتلون وتُضحّون، لا تريدون بذلك شيئًا من عرض الدنيا، ما نعلم سفرًا خيرًا من هذا.

وهذا المعنى قليل من الحجاج من يتمثّله، ولذا قال **شريح القاضي** [ت: ٧٨ هـ]: الحاجّ قليل، والركبان كثير، ما أكثر من يعمل الخير، ولكن ما أقلّ الذين يريدون وجهه.

ومن العـزم حسرتـك على فوات الطاعات وضياع الحسنات، ومن ذلك تحسر **عبد الله بن عباس** ﷺ على ما لا يدركه سوى صاحب قلب قوي وعزم فتي.. حيث قال: ما آسى على شيء فاتني من الدنيا إلا أنني لم أحج ماشيًا حتى أدركني الكبر!! اسمع قول الله تعالى: ﴿ **يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ** ﴾ [الحج: من الآية ٢٧].

ومن العـزم تصميمك على أن لا يضيع منك نفَسٌ إلا في طاعة، ولا يخرج إلا في عبادة، فلا تعمل إلا في زيادة حسنات أو نيل قُربات، وهـذا هـــو...

رأس مالـك الحقيقـي

قـال **ابـن عطـــاء**: «رُبَّ عمر اتسعت آماده وقلـت أمـداده، ورُبَّ عمـر قليلـة آمـاده كثـيرة أمـداده».

وصـدق – رحمـه الله – فقـد تُـوفِّي **الشافـعي** في الرابعـة والخمسين وقـد مـلأ الأرض علمـًا.. وتـوفي **عمـر بـن عبـد العزيـز** في الثامنـة والثلاثـين بعـد أن حكـم الأمـة عامـين وأشـهرًا فحقـق مـا لا يحققـه آخرون في قرون.. وتُوفِّي الإمام **النـووي** في الثانية والأربعين وقد تـرك تراثـًا يعجـز أحدنـا أن يقـرأه فضـلاً عن أن يكتب مثلـه.

الخذلان كل الخذلان

واحذر من اتساع الوقت والفراغ من الشواغل، ثم التفريط في هذه النعمة الجليلة. تابع **ابن عطاء** حكمه فنبّهك إلى أن: «**الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه، وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه**».

وهل هناك وقت وفراغ من مشاغل في وقت مثل وقت الحج الذي ألقى فيه الحاج أعباء الدنيا وراء ظهره وفّرغ نفسه من كل شيء رجاء رضا مولاه وقربه منه، فهل يليق به بعد ذلك أن يلهو ويلعب؟! ويزهد في الثواب ولا يرغب؟! ويقضي حجه سعيًا في الأسواق فإذا نُصح يغضب؟! ... فالموفق اليوم من تلمح قصر هذا الموسم والجزاء الأوفى فيه الذي لا آخر له، فانتهز حتى اللحظات وزاحم كل الحسنات، لعلمه أنها إذا فاتت فلا وجه لاستدراكها، ومعنى هذا أن هذه الفضائل في حاجة إلى وثبة أسد وإلى حبل عزم جديد منسوج من حديد.

لا عمل إلا بنية

جميل بك أخي الحاج في ختام رحلتك الميمونة وسفرك المبارك أن تحمل إلى أهلك وأقاربك بعض الهدايا التي تدخل السرور عليهم ونيتك في ذلك: «**وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم**»[1].

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ١٧٦ في صحيح الجامع.

وقد ذُكِر أن أحد الحجاج عاد إلى أهله فلم يقدم لهم شيئًا فغضب واحد منهم وأنشد فيه شعرًا فقال:

كأن الحجيج اليوم لم يقربوا منى ولم يحملوا منها سواكًا و لا مسكا
أتونا فما جادوا بعود أراكة ولا وضعوا في كف طفل لنا كعكا

على أن ذلك مشروط بأن لا يستغرق منك كثير من الوقت إلا يومًا أو بعض يوم، وإلا وقعت في فخ الشيطان وذهبت رحلتك سدى.. بعد أن بددت جهدك ونسيت هدفك الذي خرجت له.. ولم تسمع تحذير نبيك ﷺ لك: «**وشر البقاع الأسواق**»[1].

مناجاة

إلهي.. قد اقتربت سفينة عمري من ساحل قبري، وما في المركب بضاعة من عمل صالح بل قلب ظمآن ونفس شحيحة وروح شريدة.. اللهمَّ هبني الإحساس بكل لحظة تمر من عمري، وأعطني القدرة على اقتفاء خُطا الزمان الهارب من يدي.. اللهمَّ أعنّي حتى أُخرِج من الفراغ شغلاً، وأنسج من اليأس أملاً، وأصنع من الظلمة نورًا.

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ٣٢٧١ في صحيح الجامع.

(٥) قطـــــع العلائـــــــق:

فمعناه أن لا يلتفت قلبك إلى غير الله، فلا تعود تذكر أهلك ومالك وعملك، بل لا يملأ قلبك طوال رحلتك سوى هم جليل يتزلزل بسببه كيانك وتضطرب أوصالك.

قد يكون مثلاً أن يغفر الله لك فيقلب صحيفة ذنوبك بيضاء نقية، أو أن يصطفيك من عباده فيُمتِّعك بالنظر إلى وجهه الكريم، أو أن يؤويك إلى جوار نبيه ويجعلك من جلسائه المقرّبين، أو غير ذلك من عظائم الآمال وجلائل الأمنيات... فحدد غايتك من حجتك، ووحّد هدفك من الآن، فإن توحيد الهدف يعجِّل بالوصول إليه، ويصون من تبدد القوى المبذولة في إدراكه.

أخـــي...

هل ستصحبك الدنيا في كل رحلاتك حتى في رحلة التزود للآخرة؟!

هل ستنشغل بالمال عن رب المال وصاحبه ومانحه ومعطيه

وأنت وافد عليه واقف بين يديه؟!

أعط الدنيا أجازة.. وامنح نفسك راحة..

ودع للآخرة في قلبك مساحة

(٢) واجبات تنفيذية

وهي واجبات تبعث في قلبك إذا تأملتها أن هذه الرحلة هي آخر رحلات حياتك، وأنك لن ترجع بعدها إلى دارك بل إلى قبرك، وأنك تستعد لحلول أجلك مع آخر خطوة تخطوها من طواف الوداع، فيدفعك قصر الأمل وقطع تعلّق القلب بالعودة إلى أن تجدّ في السير وتتقن الحج.

قال **ابن عقيل** [ت: ٥١٣ هـ] رحمه الله: «ما تصفو الأعمال والأحوال إلا بتقصير الآمال، فإن كل من عدَّ ساعته التي هو فيها كساعته عند مرض الموت حسُنَتْ أعمالُه، فصار عمره كله صافيًا».

فأدِّ حجتك دون أن تخلِّف أي تبعة وراء ظهرك، وذلك بأن تحرص على ما يلي:

(١) قضاء الديون:

فسداد الديون مقدّم على أداء الحج، وقد كان رسول الله ﷺ يسأل قبل أن يصلي على الميت: «**هل عليه دَيْن؟!** »، فإن قضاه أحد وإلا لم يُصلّ عليه.

وأنت ذاهب في رحلة قد لا ترجع منها، فإن كانت عليك ديون لا تستطيع أداءها فعليك استئذان أصحابها في الخروج إلى الحج.. وإلا فلا تخرج.

(٢) ردّ المظـــــــــــالم:

فإن كنت قد ظلمت شخصاً فعليك أن ترد مظلمته وتطلب السماح والصفح منه، حتى تطهّر نفسك من حقوق العباد قبل سفرك، فتلقى الله وليس في ذمتك مظلمة لأحد، ولا يبقى عليك بعد ذلك سوى حق الله الذي سيغفره لك بفضله وعفوه وكرمه.

قال **أبو حامد الغزالي** [ت: ٥٠٥ هـ]: «فكل مظلمة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول: إلى أين تتوجه؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مُضيّع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له؟ أَوَلا تستحيي أن تُقدِم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك؟ فإن كنت راغباً في قبول زيارتك فردّ المظالم وتبْ إليه أولاً».

(٣) رد الودائـــــــــــع:

فعليك أن ترد الودائع وتبلغ أصحابها بأنك مسافر للحج.. وقد لا تعود.

(٤) كتابـــــة الوصيـــــــة:

قال رسول الله ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**»[1].

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٦١٤ في صحيح الجامع.

قال **الطيبي**: «فذكر الليلتين تسامح، والأصل: يبيت ليلة؛ يعني سامحناه في هذا القدر فلا يتجاوزه للأكثر».

(٥) توديـــــع الأهـــــــل:

وكأنك لن تراهم بعد اليوم، وذلك بالدعاء المأثور اقتداءً بالنبي ﷺ فقد «**كان إذا ودع رجلاً أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده، ويقول: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك**»[1].

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٤٧٩٥ في صحيح الجامع.

رحلة المشتاق

الحـج و العمرة

ثالثا:

أسرار الحـج والعمرة

أسـرار
الحـج والعمـرة

هـل صحيح أنّ أعمال الحج والعمرة مبهمة لا معنى لها؟!
وأنّ الله عز وجل تعبّدنا بما لا نفهمه؟!

أم أنّ في كل عبادة من عبادات الحج والعمرة تذكرة للمتذكر، وعبرة للمعتبر، وتنبيه للغافل، وإشارة للعاقل؟!

فإذا عرفنا إلام ترمز هذه العبادات اهتدينا لأسرارها فصفا القلب وسمت الروح وتم الفهم عن الله.

أما الـزاد: فاعلم أن هذه الرحلة رحلة عبودية، ولابد لك فيها من الزاد حتى تستغني عن الناس فتخلص عبوديتك لله، وتظل ذلتك بالكامل له...
فلا تسأل في هذه الرحلة غير الله
بل لا تستشرف ولو بقلبك إلى سؤال أحد سواه.

واطلب الزاد من حلال، فكيف تحج بيت الله برزق خبيث؟! بأي وجه يقابل الله من سرق عباد الله؟! أيجوز التطهر بماء نجس؟! أيرجو القبول وقد طُرد قبل الوصول!!

إذا حججت بمال أصله سُحت ... فما حججتَ ولكن حجّت العير
لا يقبل الله إلا كل طيّبة ... ما كُلّ من حجّ بيت الله مبرور

وتعلم من التزود في الرحلة الفانية التزود للرحلة الأبدية، ولتحدّثك نفسك أخي المشتاق أن **الزاد الحقيقي هو التقوى**، فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يبلغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزاد من التقوى، وقد جمع الله بين الزادين في قوله: ﴿ **وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ** ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٧].

وإن كنت تريد أن تحصل على القوة التي تعينك على أداء المناسك والتلذذ بالعبادة، فلتحرص على كثرة الذكر فهو الذي يضاعف قوتك، فإن من ثمرات المداومة عليه منح الحاج قوة وعزمًا وصلابة وبأسًا، ولذا كان الذكر أفضل أعمال الحج.

سئل رسول الله ﷺ: أي الحج أفضل؟! قال: «**العَجّ والثَّجّ**». والعجّ: رفع الصوت بالتلبية، والثجّ: هو نحر البُدن[1].

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ١١٠١ في صحيح الجامع.

أفضل الحجاج والمعتمرين

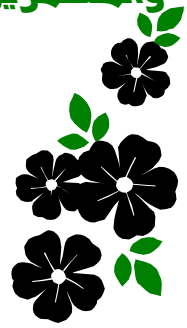

قال **ابن القيم** [ت: ٧٥١ هـ] في الفائدة السادسة والخمسين من فوائد ذكر الله عز وجل: «إن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرًا لله عز وجل، فأفضل الصُّوَّام أكثرهم ذكرًا لله عز وجل في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرًا لله عز وجل، وأفضل الحجاج **أكثرهم ذكرًا لله عز وجل**، وهكذا سائر الأحوال».

شراء ثوبي الإحرام

أما شراء ثوبي الإحرام.. **فتذكر** بلبسك ثياب الإحرام الكفن ولفّك فيه، فإنك ستلقى الله عز وجل ملفوفًا في كفن أشبه ما يكون بثياب الإحرام، إذ ليس في ثياب الإحرام مخيط تمامًا مثل الكفن، وما أشبه المُحرِم اليوم بالميت، فكلاهما يغتسل، وكلاهما ذاهب للقاء ربه، وهذا ما يذكِّر كل حاج بإخوانه الموتى وبحاله الذي يشبه حال كل ميت، ويعبِّر عن ذلك الشاعر بقوله:

لعمرك لو كشفتَ التُّرب عنهم ... فما تدري الغني من الفقير
ولا الجلد الملامسَ ثوبَ صوفٍ ... من الجلدِ الملامسِ للحرير
إذا أكل الثرى هذا وهذا ... فما فضل الغني على الفقير؟

وتذكـــر أن هـذه الحـال تبعـث في الـنفس أكـبر درجـات الخضـوع وأسمى منازل الخشوع وأقصى تذلل للخالق سبحانه، فأنت اليوم لـيس معـك من متـاع الدنيـا سـوى ما تلبس، وإن كان نعـيم الـدنيا وزخرفهـا قد أنساك أن الملك كله لله فقد جاءك اليوم الذي تقف فيه بين يدي ربك كيوم ولدتك أمك، ليس عليك من دنيـاك سـوى مـا تسـتر بـه عورتـك، أنت اليوم أشبه ما تكون برضيع لُفّ في قطعـة قـماش، لا يملـك لنفسـه شيئـًا ويحتـاج من خالقـه إلى كـل شيء.

وتذكـــر بلبسـك ثيـاب الإحـرام أن النـاس سواسيـة مـن الملـوك إلى الصعاليك، لا فضـل لأحـد على أحـد إلا بـ (**التقــوى**)، فالكل يخلع صنعـة الخيّـاط ليلبس خرقـة البسطـاء، ويلحـق بذلك أفقـر الفقـراء بأغـنى الأغنيــاء.

ولا تجد دينـا كالإسلام يغرس المساواة في قلـوب أتباعـه بمثـل هـذه الطريقـــة العمليـــة، ويفرضهـــا في أجـلّ العبـادات لتتصـل بالضـمير وتمتـزج بالتركيبـة النفسـية، فيغـرس ذلـك في قلـب كـل حـاج ولا شـك (**خلـق التواضـــع**).

أجـــــل.. هنا تلتقي كل الألوان والأجناس والأعراف واللغات والأعمـار دون ذرة واحدة من تفرقة أو تمييـز، ولو رآنـا دعـاة حقـوق الإنسان اليوم لقالوا: انظرونا نقتبس من نوركم.. ولكنهم قوم يجهلون!!

لكنه وإن تساوى الظاهر فالله أعلم بالسرائر، فلعل فقيرًا يعيش على الكفاف يكون خيرًا عند الله من ملئ الأرض من غني ضاقت خزائنه بالمال، ولعل رجل من عامة الحجاج أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره.

وتذكر بلبسك ثياب الإحرام الزهد في الدنيا، والزهد كما قال **ابن الجلاء**: «النظر إلى الدنيا بعين الزوال.. فتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها»، أو كما قال **الإمام أحمد**: «الزهد في الدنيا عدم فَرَحِهِ بإقبالها ولا حُزنِهِ على إدبارها»، ولذلك لما سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدًا؟! قال: «نعم بشرط أن لا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت».

وهل هناك فرصة لغرس الزهد في القلوب أعظم من فرصة الحج الذي نخلع فيه فاخر الثياب فلا فخر ولا مباهاة، ونرتدي ملابس الإحرام البسيطة التي ليس لها جيوب!!

وقد دلّنا النبي ﷺ على معنى الزهد بحاله فضلاً عن مقاله، فقد حجّ ﷺ على رحل رثٍّ وقطيفة خلِقة تساوي أربعة دراهم أو لا تساوي.. كما روى ذلك عنه **أنس بن مالك** رضي الله عنه.

وتذكر بلبسك ثياب الإحرام أن تُبيّض قلبك كما بيّضت ثيابك، فرب مبيِّض لثيابه مدنِّس لدينه.

واستشعر كذلك بياض المنهج الذي تحمله ونقاء رسالة الإسلام التي تحويها بين أضلاعك.

الإحرام من الميقات

وأما الإحرام من الميقات... **فاعلم** أن لحظة الإحرام من أهم اللحظات؛ لأنها البداية، وفساد النهايات من فساد البدايات...

فَتَحَرَّ الإخلاص بأقصى ما تستطيع، ونَقِّ القلب من أي مُرَادٍ سوى الله، مستعينًا في ذلك بالدعاءُ بما دعا به نبيك ﷺ: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة»[1].

وتذكر بوصولك إلى الميقات أن الله تعالى يؤهِّلك للقدوم عليه، والقرب من حضرته، فالزم الأدب معه لتكون أهلاً لإقباله عليك بمزيد الإحسان وعظيم الإنعام.

واعلم أن الميقات فاصل بين الأرض التي تحل فيها محظورات الإحرام لأنك غير متلبس فيها بنسك، وبين الأرض التي تُحظر فيها لأنك قد تلبّست بالنسك.

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٣٠٢ في صحيح الجامع.

واعلـم أنـك ستتحلل مـن إحرامـك عـما قريـب فتحـل لـك هـذه المحظورات.. **فتذكّـر** ساعتهـا ميقات الدنيا بما فيه من تعب ومحرمـات ونصب ومحظورات، وكيـف أن هـذا الميقـات مـا هـو إلا منـزل مؤقـت ومعـبر مُوصِّل إلى مكان آخر يحلّ لك فيه كل ما حُرّم عليك، وتنعم فيه بكل ما حُرمت منـه.. **ألا إنهـا الجنـــة!!**

الاغتســـــــــــال

وأول ما يجب فعله في الإحرام **الاغتســال**، لكن لماذا الاغتسال؟! كأن المراد بالاغتسال أن تمحو عنك آثار الدنيا إن كانت لا تزال عالقة بك تأبى أن تفارقك، فتعود كلك لله لا يبقى للدنيا فيك شيء، وتبدأ رحلتك نقيًا من غبار الدنيا وشهواتها ومشاغلها.

وليس الاغتسال لطهارة الظاهر فحسب بل لطهارة الباطن كذلك، فيغسل هذا الماء ذنوبك ويخلصك من آثامك. فإذا أحرمت فلا تتطيّب ولا تتزين ولا تقص شعرك أو تحلقه؛ لأن رحلة الروح قد ابتدت فلا تنشغل عنها بمظاهر المادة الزائلة مهما كانت.

التلبيـــــــــــــــة

وأما التلبية.. فبعد أن تنوي الإحرام تبدأ التلبية بصيغتها المعروفة: «**لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك**».

ومعنى التلبيـــة: إجابة نداء الله عز وجل على الفور.. مع كمال المحبة والانقياد دون أي تلكؤ أو تأخر.

وتكرار كلمة (**لبيك**) أربع مرات.. وعدٌ منك لربك بطاعة بعد طاعة، وشهادة منك على نفسك بإجابة بعد إجابة.. فارْجُ الله أن تكون صادقًا في دعواك.. واخْشَ أن تكون غير ذلك فيُقال لك: لا لبيك ولا سعديك.

۞ لبيـــك اللهـــم لبيـــك:

في معنى التلبيـــة أقوال كثيرة، فأمرَّها على قلبك طردًا للملل، وتعظيمًا للأجر، وإعلاءً لقيمة عمل القلب، ولعل أبرز هذه المعاني:

- **الأول**: أنه انقياد، ومنه قولهم لبَبْتُ الرجل بردائه، وقبضت على تلابيبه، والمعنى: انقدت لله خاضعًا ذليلاً يضعني حيث شاء ويفعل بي ما شاء، كما يُفعل في من لُبِّب بردائه وقُبِض على تلابيبه.. فهل قلبك مع أقدار الله النازلة بك أخي المُحرِم على هذه الحال دومًا؟!

- **الثاني:** أنه من لبَّ بالمكان إذا قام به ولزمه، والمعنى: أنا مقيم على طاعتك، وأعاهدك ألا أفارقها أو أنقطع عنها انشغالاً بغيرها أو تكاسلاً عنها.. فهلا أوفيت بعهدك ووفَّيت بوعدك.
- **الثالث:** أنه مأخوذ من لُبِّ الشيء وهو خالصه، ومعناه: أخلصت لُبّي وقلبي لك، فلا رياء في حجتي ولا سمعة، ولا قصد سياحة أو استئناس بصحبة، والله مطلع على قلبي، عالمٌ بسري وجهري.

۞ لبيك لا شريك لك لبيك:

لا شريك لك في عبادتي.. في انقيادي لك.. في خوفي منك.. في رجائي لفضلك.. أنا مخلصٌ غاية الإخلاص.. أستقي اليوم من نبع التوحيد الخالص.

لا شريك لك: فلو أمرني أحد من خلقك بمعصية لطرحت أمره أرضًا، ولقدَّمت أمرك نفلاً وفرضًا، وكيف تكون لمخلوق طاعةٌ في معصية الخالق!!

۞ إنَّ الحمد:

وهو شعور القلب بالامتنان تجاه مولاه على كل ما أنعم به عليه من نعم، وآخرها أن اصطفاه لزيارته في عمرة أو حج، واستحضر أنك تذكر الله بأحب الأذكار إليه وهو الحمد حتى أنه بدأ به كتابه ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

۞ والنعمـــــــة لـــــــك:

وهـي مصـداق قـول الله تعـالى: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ** ﴾ [النحل: ٥٣]. وكلمـة «**والنعمـة لـك**» مشـتملة عـلى الاعـتراف لله بالنعمـة كلهـا، ولهـذا عرَّفهـا بـاللام المفيـدة للاسـتغراق، أي الـنعم كلهـا لـك، وأنت وحـدك المنعـم المتفضِّـل بهـا.

۞ والمـــــــــــــــلك:

الملـك كـله لله وحـده، فـلا ملـك عـلى الحقيقـة لأحـد مـن خلقـه، وما الكنـوز والأمـوال إلا عوارٍ لنا نحن مستخلفون فيهـا، وهو سبحانه الملك وأنا وأنت عبيدٌ لـه، والعبـد لا تصرف لـه في مالـه ووقتـه ونفسـه دون إذن سيـده.

ولأن الملـك لله وحـده، ولا يملـك أحـد مـن خلقـه مثقـال ذرة في السماوات ولا في الأرض، لذا يتوجه قلبي بكل خليـة فيـه إلى الله وحـده يسأله من خيري الدنيـا والآخـرة.

ولم يقـل إن الحمـد والنعمـة والملـك لـك، بـل كـان الكـلام جملتـين مستقلتين، فالجملة الأولى انتهت بقول «لـك»، ثم عطف عليهـا المُلـك، فكان تقدير الكلام: والملك لك، وفائدة أن أتى بجملتين بدلاً مـن جملـة واحـدة: تكـرار الثنـاء على الله.

۞ لا شريـك لـك لبيـك:

وإعادة الشهادة هنا بأنه لا شريك له ليست تكرارًا لا لزوم له يمس البلاغة، فقد جاءت عقب قوله «**إن الحمد والنعمة لك والملك**»، وذلك يتضمن أنه لا شريك له في الحمد والنعمة والملك، أما الشهادة الأولى فهي تتضمن أنه لا شريك له في إجابة الدعوة والاستجابة له.

فالتلبية إذن ذكرٌ وتذكير وعهد كبير، ووعدٌ منك ببذل الجليل والحقير في سبيل رضا الربِّ الغني القدير.

اللهم إنا نعوذ بك من أن تلبي ألسنتنا وتكذِّب قلوبنا، وترتفع أصواتنا وتخفت أفعالنا، ونعوذ بك من نسيان ما عاهدناك عليه..

اللهم واجعل التلبية عملاً بالأركان فوق كونها نطقًا باللسان، فإن سمعنا مناديك في أي مكان أو زمان لبينا، وإذا أُمرنا أو نُهينا أطعنا وأصغينا..

اللهم وأعنا على غرس بذور التلبية في نفوس أبنائنا وأهلنا حتى يلبوا نداءك كما لبينا..

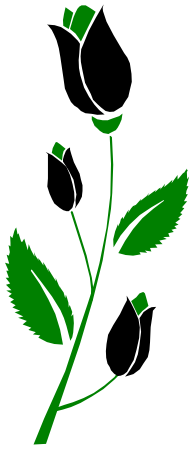

قال **سفيان بن عيينة** [ت: ١٩٨ هـ]: حج **علي بن الحسين** [ت: ٩٤ هـ] رضي الله عنهما.. فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي.. فقيل له: لم لا تلبي؟ فقال: أخشى أن يقال لي لا لبيك ولا سعديك، فلما لبى غشي عليه ووقع من على راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.

ولما حجّ **جعفر الصادق** [ت: ١٤٨ ه] أراد أن يلبي فتغيّر وجهه، فقيل له: ما لك يا حفيد بنت رسول الله ﷺ؟ فقال: أريد أن ألبي وأخاف أن أسمع غير الجواب!!

شامية بلسان

يروي لنا أديب الفقهاء وفقيه الأدباء الشيخ **علي الطنطاوي** تجربته مع التلبية قائلاً: «فكنت أروِّض نفسي على استحضار معنى التلبية، فأتصوّر أوامر الشرع وأن الله يدعونا إلى اتباعها، وأتصوّر أنه يدعونا لترك ما نهى عنه، فأقول لبيك اللهم لبيك، لبيك جئت طائعًا مستجيبًا، عازمًا على اتباع أوامرك، والوقوف على محارمك، وتصوّرتُ أني خلّفت الدنيا ورائي

بصداقاتها وعداواتها ومطامعها ومخاوفها، وأني قادم على الله فلا أرجو معه صديقًا ولا أخشى معه عدوًا، وعرتني هذه النفحة من السمو الإلهي التي لا تعرض للمرء مرة في السنين الطوال، وغمرتني موجة من لذة التأمل وحلاوة الإيمان لا يمكن أن تسمو إلى وصفها الأقلام».

يصف **حافظ بك عامر** هذه الكلمات فيقول: «كلمات روحانية فيها أنوار السماء تضيء على كل ما في الأرض وكل ما في النفس، وتجعل الإنسان سماويًا إلهيًا في بعض أوقاته ليتذكَّرها في سائر أيامه الأخرى، فإذا رجع إلى دنياه العادية نبّهته معانيها فكانت له كالقانون الروحي.. هذا النشيد دويّ عام يهتف به مئات الألوف من المؤمنين بصوت واحد فلا يمكن أن ينساه من سمعه، وبذلك يكون قد انغرس في نفسه، وحمل معه الهيئة التي تذكر به الحاج دائمًا، فيرتبط به في الذاكرة فلا يمحى ولا يُنسى».

فابدأ بالتحرك إلى مكة من الميقات، وأنت تردد هذا النشيد الإلهي الذي تضجّ به الصدور وتنطلق به الحناجر لمئات أو آلاف المرات، وقد كان النبي ﷺ يقطع هذه المسافة على ظهر البعير في يوم وليلة، لا يمل ولا يكل من التلبية، ونحن اليوم نقطعها في أربع ساعات تقريبًا، ومع هذا نستشعر الرتابة والملل!!

قال **أبو حازم**: «كان أصحاب النبي ﷺ إذا أحرموا لم يبلغوا الرَّوْحاء[1] حتى تُبَحَّ أصواتهم»، وما ذلك إلا لأنهم موقنون في ثواب الله، واثقون من عطائه، منفذون لأمره الذي نقله إليهم نبيه ﷺ فقال: «**أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي ومن معي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية**»[2].

وفي رفع الصوت بالتلبية قهر للوسواس وطرد للنعاس، وهو أيضًا أجلب للخشوع وأقرب للدموع، وفيه الافتخار بالنسك والإعلان عن الطاعة، والنساء في التلبية كالرجال لعموم الأحاديث الواردة في ذلك، فيرفعن أصواتهن ما لم تُخْشَ الفتنة.

كان **سعيد بن جبير** يوقظ الحجاج.. ويقول: قوموا فلبوا، فإني سمعت **ابن عباس** رضي الله عنهما يقول: «**هي زينة الحج**».

تستمر التلبية في العمرة بضع ساعات، أما في الحج فتستمر لمدة يومين كاملين إلى أكثر بحسب نوع الحج من تمتع أو إفراد أو قران، وقد أخرج الشيخان من حديث **ابن عباس** رضي الله عنهما أنه قال: «**لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة**».

(١) الرَّوْحاء: بلد تقع على بُعد ٧٥ كيلومترًا من المدينة.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٢ في صحيح الجامع.

ولأنها فترة زمنية طويلة، فلا بد أن فيها من المعاني ما يريد الله لك أن تحوزها وتعيها، وقد أتيت لك بما يعينك عليها كما يلي:

مما يعينك على التلبية بشارة النبي ﷺ لك: «**ما أهل مُهِلّ قط ولا كبّر مُكبِّر قط إلا بُشِّر**». قيل: يا رسول الله.. بالجنة؟! قال: «**نعم**»[1].

ومما يعينك على التلبية قول النبي ﷺ: «**ما من مُلبٍّ يلبي إلا لبّى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا عن يمينه وشماله**»[2].

ومما يعينك على التلبية أن تتأكد أن كل ما مررت عليه من زرع وشجر وجماد وحجر سيشهد في حقك أمام الله يوم القيامة. قال **أبو الدرداء** رضي الله عنه: «**اذكروا الله عند كل حجيرة وشجيرة لعلها تأتي يوم القيامة فتشهد لكم**».

ومما يعينك على التلبية أن تحس أن تلبيتك ما هي إلا طلب في إلحاح ودعاء في إصرار أن يحضر قلبك ويفيض دمعك وتخشع جوارحك.

ومما يعينك على التلبية أن تحدّث نفسك بقرب الوصول إلى الكعبة المشرفة، فيزداد شوقك مع كل خطوة، وكلما دنوت شبرًا زادت ضربات قلبك لهفة واضطربت مشاعرك لوعة.

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ١٦٢١ في السلسلة الصحيحة.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٣٦٣ في صحيح ابن ماجة.

لبيك لبيك! ضجّ الركب وانطلقت ... جموعه والنشيد العذب يدفعه
أصداؤه في فجاج الأرض صاخبة ... واليد في رحبها نشوى تُرَجِّعُه
وفي الجوانح من وَجْدٍ ومن وَلَهٍ ... ما جاش في النفس حتى فاض مَتْرَعُه
ما الطير مارقة الأجواء ضاحكة ... ما الزهر في الروض أذكاه وأضوعه
أنقى وأجمل من ترداد تلبية ... يشدو بها محرمٌ والكون يسمعه

كلمات لها ما بعدها

تعقد المعاهدات دوماً في بداية أمر ما، والتلبية معاهدة مقدّسة بين العبد وربه، فهي ليست نهاية بل بداية، ومن عاد من الحج فقد رجع بعد أن أبرم العهد مع الله، ليعود بعدها من مقام العهد إلى مقام العمل، ومن وعد اللسان إلى تصديق الجوارح...

فعملك الحقيقي أخي المشتاق إنما يبدأ بعد حجك، لذا فالواجب عليك أن تخجل من مخالفة الله بعد انطلاق هذه الكلمات من فمك، فإن رجوع الرجل عن وعده لمخلوق ضرب من الدناءة وانخلاع من صفات الرجولة، فكيف إذا كان الوعد مع الخالق؟!

دخول مكة

وأما دخول مكة.. **فاستشعر** قدرها وعظمتها وأنها مهبط الوحي، وقبلة الدنيا، وموطن الأمن والأمان، فيها وُلد خير خلق الله..

وفيها ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض، وفيها الحجر الأسود الذي هو من الجنة..

ولطهارتها ليس فيها دين غير الإسلام، ولا يدخلها غير مسلم، وهي أحب بقاع الأرض إلى الله ورسوله..

ومن كرامتها على الله أن نية المرء بالمعصية فيها تعرضه إلى عذاب الله، ومن كرامتها أنه لا يجوز حمل السلاح فيها إلا للضرورة، ومن كرامتها أنه يحرم صيدها على جميع الناس، بل ولا ينفر صيدها، ولا يُقطع شجرها، ومن كرامتها أن الدجال سيدخل جميع البلاد إلا مكة، وحين يقدمها يخسف به ومن معه.

طُف بي بمكة إني هَدّني تعبي ... واترك عناني فإني ها هنا هدفي
ودَعْ فؤادي يشدو في جوانبها ... ففي مرابعها يهيم القلب من لهفي

احذر أخي.. أنت الآن في بلد الله الحرام، وهو بلد تُضاعف فيه الحسنات وكذلك السيئات؛ لأن من عصى الملك على بساط ملكه ليس كمن عصاه بعيدًا عن داره.

وقد توعّد الله عز وجل من يُرِد فيه الفساد بعذاب اليم فقال: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: من الآية ٢٥].

قال ابن كثير رحمه الله: أي يُهِمّ بأمر فظيع من المعاصي الكبار،

وقال **ابن مسعود** ﷺ: الهمة في الحرم تُكتب ذنبًا. وعن **ابن عباس** رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلحِد في الحرم**، ..... »[1]. قال **ابن حجر العسقلاني** في فتح الباري: وظاهر سياق الحديث أن فعل الصغيرة في الحرم أشد من فعل الكبيرة في غيره.

ولأن الله قد جمع في الحج حرمة الزمان وحرمة المكان، فقد أرسل **عمر بن الخطاب** ﷺ تحذيره الشديد إلى أهل مكة وإلى كل من سكن مكة فقال: «يا أهل مكة.. اتقوا الله في حرمكم هذا. أتدرون من كان ساكن حرمكم هذا قبلكم؟ كان فيه بنو فلان، فأحلوا حرمته فهلكوا، وبنو فلان فأحلوا حرمته فهلكوا، حتى عدّ ما شاء الله، ثم قال: والله لأن أعمل عشر خطايا بغيره أحب إليّ من أعمل واحدة بمكة».

ومن أكثر الذنوب شيوعًا في مكة **إطلاق البصر** لاختلاط الرجال بالنساء أثناء الطواف وغيره. قال **ابن الجوزي** [ت: ٥٩٧ هـ]: «اعلم أن غضّ البصر عن الحرام واجب، ولكم جلب إطلاقه من آفة، وخصوصًا في زمن الإحرام وكشف النساء وجوههن، فينبغي لمن يتقي الله عز وجل أن يزجر هواه في مثل ذلك المقام، تعظيمًا للمقصود، وقد فسد خلق كثير بإطلاق أبصارهم هنالك».

---

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٤٠ في صحيح الجامع، وفي الصحيحة ٧٧٨، وأخرجه البخاري في صحيحه.

دخول المسجد الحرام

وأما دخولك المسجد الحرام... فكأنك **تستأذن الله** في الدخول عليه والوقوف بين يديه والكون في حضرته، فكن على مستوى الحدث وجلال الموقف، واشعر بما شعر به **علي الطنطاوي** حين دخل المسجد الحرام فقال مناجيًا ربه: «إن ذنوبي سوّدت صحيفتي، وأنا لا أستحق الدخول عليك، ولكن الكريم يقبل من يكون مع الضيف إكرامًا للضيف، وأنت أكرم الأكرمين، فهل تطرد من بابك من جاء مع أضيافك؟!».

وقوع البصر على البيت

فحاسب نفسك أمام الله وفي حضرته داخل بيته المقدس، **واملأ قلبك** بالعظمة الإلهية والهيبة الربانية وأنت تري جموع الطائفين التي لا تنتهي...

وليرتجف قلبك وأنت تتأمل هذا الموكب الذي وصفه أستاذنا **الطنطاوي** فقال: «لا يزال يمشي لا ينقطع ساعة لا في حج ولا في غير حج، لا في ليل ولا نهار، لا في صيف ولا شتاء، منذ بنى إبراهيم هذه البَنِيّة من خمسة آلاف سنة إلى الآن... إنكم لتعجبون إن رأيتم موكبًا يسير خمس ساعات لا ينقطع، أو جيشًا يمر أمامكم خمسة أيام لا ينفد، فكيف وهذا الموكب يمشي مستمرًا متصلاً لم ينقطع سيره ساعة واحدة من خمسة آلاف سنة!! ».

واملأ عينك بالنظر إلى الكعبة حتى تسد الأفق أمامك، فإن لذلك سحرًا عجيبًا وأثرًا بالغًا في تعظيم أمر الله وزيادة قوة الإيمان، وراحة القلب وطمأنينة البال، وقهر الوساوس وقتل الأحزان، وصدق ابن القيِّم حين وصف البيت فقال:

إذا ما رأته العين زال ظلامها ... وزال عن القلب الكئيب التألم

واعلم أن الكعبة ليست أحجارًا وأستارًا، وإنما هي كما وصفها عمر بهاء الدين الأميري فقال شارحًا مذهبه:

الكعبةُ الشَّماءُ في مذهبي ... قيمتُها ليستْ بأحجارِها
والقُربُ مِنْ خالِقِها ليسَ في ... تَشَبُّثِ المرءِ بأستارِها
قُدسيَّةُ الكعبةِ في جَمْعِها ... أُمَّتَنا مِنْ كُلِّ أقطارِها
وأنها محورُ أمجادِها ... وأنها مصدرُ أنوارِها

واستحضر بقلبك معاني الحب ولقاء الحبيب، وحصول المنى برؤية بيت الله والتشرّف بالوقوف فيه، **واشكر** الله تعالى على تبليغه إياك هذا الشرف، وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه، **وأحسن الظن** أنه لن يضيع جهدك سدى قائلاً:

وما أظنك لما لبّى القلب دعوتكم ... شوقًا إلى الدار تدنيني من النار
وها أنا جارُ بيتٍ أنت قلتَ لنا ... حجوا إليه وقد أوصيت بالجار

الطـــــواف بالبيـــــت

فاعلـــم أنـك في صـلاة فاعصر قلبك لتُخرج منه كل معـاني الخـوف والاحترام والتبجيـل؛ لأنـك في حـضرة ملـك الملـوك، فقلبـك منظـور، وعملك مشهود، وطوافك مرقوب.. **واعلـــم** أن الطـواف هـو أحـب عمـل يُتقـرب به إلى الله في بيتـه، فاستـزد منـه ما استطعـت.

ولمـاذا عكـس عقارب الساعـــة؟

والجـــواب: كأنـــك تطـوف باتجـاه المـاضي، لتتصـل بالجـذور، وتعـب مـن الينـابيع الأولى، وترتبط بتاريخ بالنبوة الخالد، وتستلهم الهُدى مـن مهـبط الـوحي، وتعـيش عـلى هـذه البقعـة المباركـة فـترة من الزمان، مستحضرًا ذكريات النبـي ﷺ وصراعـــه الطويـل مـع الباطـل، ومُقـدِّرًا تضـحياته العظيمـة لتصـلك الرسـالة نقيـة جليـة وأنـت على فراشـــك!!

إنها كذلك رحلة في ماضيك أنت، لتقف على أخطائك، وتكتشف مواطـن الخلل في تاريخـك، فتعـود لصناعـة مستقبـل أفضـل، بعيـدًا عـن زلات المـاضي وعثـرات العمر، لتكـون الخطـوات القادمـة راسـخة وفي الاتجـاه الصحيـح بـإذن الله.

وانـــوِ وأنت ترمل في الأشواط الثلاثة الأولى من «**طـواف القـدوم**» أنك هارب من ذنوبك، فارٌّ من خطاياك، وإذا مشيت في بقية الأشواط فما هو إلا أثر الرجاء الذي ملأ قلبك بأن يغفر الله سبحانه وتعالى ذنبك ويقبل عَوْدك.

واستشعـــر أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله، فأنت تطوف عندك والملائكة تطوف فوقك، وفي نفس النقطة وبنفس الحركة التي تتحرك بها بل وفي نفس الاتجاه، **فاستحضـر** عندها أنك تطوف حافيًا حول العرش.. ترجو الرحمة.. وتطلب الرضا.. وتتمنى القبول.

وتأمّـــل خشوع الملائكة وذلهم لله تبارك وتعالى، وقلّدهم واقتد بهم تبركًا وتشبهًا، فقد قال رسول ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١).

وشاهـــد هذا المشهد بعين بصيرتك، وأصغِ إليه بسويداء قلبك لتسمع هذا الهدير الذي لن تخطئه أذنك بإذن الله، وكأنه ترنيمة تقديس أو أنشودة تسبيح تنطق بها كل الكائنات لا الحجاج وحدهم.

وتفكـــر كيف لو أتيح لك أن تسمع على الحقيقة تسبيح كل الخلائق مرة واحدة ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ [الإسراء: من الآية ٤٤]، فإنك إن استشعرت ذلك زاد إيمانك وعلا يقينك ولا شك.

---

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٦١٤٩ في صحيح الجامع.

تناغم مع الكون

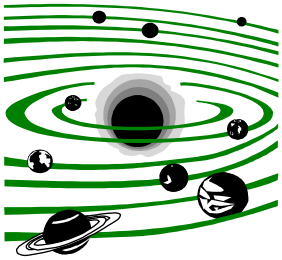

قال عز وجل: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: من الآية ٤٠]، تلفت هذه الآية الأنظار إلى الحركة الدورانية أو الطواف كسنة كونية تتجلى في الخلق كله، فالذرة لا ترى بالعين المجردة، ومع ذلك تدور الإلكترونات فيها حول النواة في مدارات خاصة، ويعني ذلك أن جميع ذرات المواد الصلبة والسائلة والغازية في هذا الكون تعمل فيها ظاهرة الطواف، بل حتى سائل الخلية يطوف حول نواتها!! فالكل في هذا الكون يطوف، والذي يطوف حول البيت إنما يساير سنن الله الكونية، ويتوحد مع مخلوقاته، ويصير ترسًا في نظام كوني محكم خاضع لله يسبح الله ويمجده ويطيع أمره ولا يجحده.

حتى لا تملوا

ينصحك الأستاذ عمرو **خالد** بالآتي: اجعل لكل شوط عملاً خاصًا به، فمثلاً: اجعل الشوط **الأول** للاستغفار، **والثاني** ادع فيه لنفسك ولأهلك، **والثالث** اذكر الله تعالى فيه، **والرابع** تذكر نعمة الله عليك من ساعة خلقك حتى مجيئك إليه في بيته، **والخامس** ادع فيه للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لنصرة الإسلام والمسلمين، **والسادس** ادع فيه لوالديك

خاصة، **والسابع** اطلب منه عز وجل القبول، ويمكنك بعد ذلك أن تجعل لكل طواف هدفًا، فطف طوافًا للذكر فقط وآخر للدعاء..... وهكذا.

وأخلص في الطواف وأحضر قلبك فيه.. مستحضرًا أنه استجداء الملحين من الكريم أن يغفر، وتكرار الطلب منه أن يقبل، وأكثر من الطواف ثم أكثر.. منفذًا وصية **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: «**استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يُحال بينكم وبينه**».

استلام الحجر الأسود

فاستشعر عند استلامك الحجر الأسود (مسحه باليد)، أو تقبيلك له، أو إشارتك إليه بشيء كالعصا ونحوها ثم تقبيل ذلك الشيء، أو إشارتك إليه بيدك (كل ذلك ورد)... استشعر أنك تبايع الله على طاعته فيجب عليك الوفاء؛ لأن الحر الكريم لا ينكث عهده ولا يخلف وعده، ومن غدر استحق المقت والإبعاد، ومن تكرر منه نقض العهد لم يوثق به بعد ذلك على الدوام.

قال **عكرمة** [ت: ١٠٥ هـ]: «**الحجر الأسود يمين الله عز وجل في الأرض، فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ، فمسح الركن فقد بايع الله ورسوله**».

واشتـــــق إلى الجنـة لأنك تقبل قطعة منها، فنسائم الجنة تفوح، وأنوارها تلوح. قال رسول الله ﷺ: «**نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسوَّدته خطايا بني آدم**»(١)..

واستحضر عندها ذنوبك السوالف كيف سوَّدت الحجر الأصم، أفلا تسوِّد قلبك المسكين وهو من لحم ودم؟! قال ﷺ: «**لولا ما مس الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسّه ذو عاهة إلا شفي، وما على الأرض شيء من الجنة غيره**»(٢).

ولذا «**كان رسول الله ﷺ لا يدع أن يستلم الركن اليماني والحجر في كل طوفة**»(٣)، ولعل شفتيك تلامس موضع شفتي رسول الله ﷺ فتسعد سعادة الأبد، وهذا من علامات المحبين الصادقين: الأنس بآثار الحبيب، ولا سيما إذا تعذّر اللقاء وطال الفراق.

أمر على الديار ديار ليلى ... فألثم ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

واغتنـــم أوقات السحر حين يقل الزحام كما اغتنمها قبلك **محمد ضياء الدين الصابوني** ثم قص علينا تجربته قائلاً:

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٧٥٦ في صحيح الجامع.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٣٣٤ في صحيح الجامع.
(٣) (حسن) انظر حديث رقم: ١٦٥٢ في صحيح أبي داود.

كعبة الحسن تبدَّت سحرا ... ما أحلاها بوقت السحر
كلما طُفت بها في لهف ... هزني الشوق للثم الحجر
فرسول الله قد قبَّله ... كيف لا أهنا بلثم الحجر

أجر يمحو المشقة

أرشدنا ﷺ إلى فضل ذلك في قوله: «**إن لهذا الحجر لسانًا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق**»(١).

وقوله ﷺ: «**إن مسح الحجر الأسود و الركن اليماني يحطان الخطايا حطًا**»(٢).

إياك والمزاحمة

عن عابس بن ربيعة قال: رأيت **عمر ابن الخطاب** رضي الله عنه يُقبل الحجر ويقول: إني أقبلك وأعلم أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لم أقبلك.

وكان عمر رضي الله عنه قد امتثل لوصية النبي ﷺ حين قال له: «**أنت رجل قوي لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبّر**»(٣).

---

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢١٨٤ في صحيح الجامع.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢١٩٤ في صحيح الجامع.
(٣) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٨٥ في مسند أحمد وصححه الألباني في الحج الكبير.

والعمل على هذا عند أهل العلم فهم يستحبون تقبيل الحجر، فإن لم يمكنك استلمته بيدك، فإن لم تصل إليه استقبلته بوجهك إذا حاذيته وقلت: **بسم الله.. الله أكبر**.

واحذر فقد يكون إثم إيذاء مسلم ومدافعته أعظم من ثواب تقبيل الحجر واستلامه، فإن تقبيل الحجر سنة وإيذاء المسلم حرام، فهل يليق بك أن تقع في الحرام لتحقق سنة؟!

للنساء أوجب

قالت مولاةٌ لأم المؤمنين **عائشة** رضي الله عنها: يا أم المؤمنين! طفتُ بالبيت سبعًا، واستلمتُ الركن مرتين أو ثلاثًا. فقالت **عائشة** رضي الله عنها: «**لا آجرك الله.. لا آجرك الله.. تدافعين الرجال؟! ألا كبّرت ومررتِ!!**».

الدعاء قلب لا فصاحة

جاءت امرأة من الأعراب إلى الحجر الأسود فسمعت طائفة منهم يدعون بدعاء حسن، ويسألون مطالب لهم، فقالت: اللهم إنك تعلم أني لا أحسن مثل دعائهم، وتعلم أني أسأل منك مثل الذي يسألون، فأعطني مثل ما تعطيهم، ثم انصرفت!!

الالتصـــاق بالملتـــــزم

في الالتـــزام اقتداء بالنبي ﷺ في التصاقه بـالملتزم فقـد «**كـان يلـزق صـدره ووجهـه بالملتـــزم**»[1]، والملتـــزم هـــو مـا بـــين بـاب الكعبـــة والحجر الأســـود..

ويُقَـال لـه أيضـًا: المدعـا والمُتَعـوَّذ وهمـا مـن أسـماء المُلتَزَم، وسُـمِّي الملتـزم لأن النـاس يعتنقونـه ويضـمونه إلى صـدورهم، فأنـت تلصـق صـدرك حيـث ألصـق النبـي ﷺ صـدره، وتـدعو حيـث دعـا، وتخـالط أنفاسك أحجار الكعبـة التي تشرفـت بملاقاة أنفاس الحبيب وزفراته.

في الالتـــزام طلب القـرب وإظهـار الشـوق إلى البيت ورب البيت.

في الالتـــزام تـبرك بممـاسة الكعبـة ورجـاءُ التحصـن مـن النـار لكـل جـزء من بدنـك لامس أحجارهـا.

في الالتـــزام إلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمـذنب المتعلـق بثياب من أذنب في حقـه، المظهر أنه لا ملجأ له منه إلا إليه، ولا مفزع له إلا كرمـه، وأنـه لـن يفـارق ذيلـ إلا إذا عفـا وصفـح وأنعـم وغفـر، ولـذا كـان **الحســن البصــري** [ت: ١١٠ هـ] إذا رأى الملتزم تعلـق بـه وقـال لمـن معـه: «**تنحـوا عـني حتى أقرّ لـربي بذنبي**».

---

(١) (حسـن) انظر حديث رقم: ٥٠١٢ في صحيـح الجامـع.

الصلاة في مقام إبراهيم

فإذا انتهيت من الطواف فاقرأ: ﴿ **وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٥]، ثم تقدّم إلى مقام إبراهيم فصلِّ ركعتين كأنك بهما تشكر الله أن بلّغك مرادك ووفّقك لغايتك.

ومقام إبراهيم هو الحَجَر الذي كان الخليل يعلوه عند بنائه البيت ليتمكن من رفع الحجارة، لذا يعتبر أكبر مساهم في بناء بيت الله الحرام، وما يدرينا لعلنا أُمرنا بالصلاة خلفه ردًا للجميل، فقد قدّم هذا الحجر أكبر خدمة لبناء بيت الله وأعظم مساعدة لنبي الله، فاستحق أن يُصلّى خلفه ليتشرف بأعظم عبادة من أطهر عباد، **فاغرس في قلبك** أعظم الرجاء، وكيف لا وقد كافأ الله الحَجَر على إحسانه، فكيف لا يكافئ البشر وقد زاروه طمعًا في فضله ورضوانه؟!

واستشعر عراقة النسب بينك وبين أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، **وتأمل أوجه التشابه** بين حجتك وبين ما فعل، فقد فارقتَ وطنك كما فعل إبراهيم عليه السلام حين خرج من العراق متوجهًا إلى الحجاز.. وتخليتَ عن ملابسك ولففت حول جسدك رداءين بسيطين يشبهان اللباس الذي ارتداه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.. وطفتَ حول الكعبة كما طاف، وستسعى بين الصفا والمروة مقلدًا سعي هاجر بحثًا

عن الماء.. وستنحر قربانك كما فعل إبراهيم عليه السلام حين افتدى ولده.. وسترمى الشيطان بالجمرات مكررًا عمل إبراهيم عليه السلام حين رمى الشيطان بالجمرات.. **فتذكّر هذا التاريخ** وامزج صلاتك بذكرى نبي الله إبراهيم الذي ضحّى وبذل وجاهد وصبر حتى استحق تقدير الله له بأن جعله أمة وحده، بل وقرّبه وأدناه منه حتى أنعم عليه بلقب الخليل.

الشرب من زمزم

ثم **انزل** للشرب من زمزم المباركة لقول النبي ﷺ: «**ماء زمزم لما شُرِب له**»[1]؛ وذلك لأن زمزم سقيا الله وغياثه لولد خليله إبراهيم عليه السلام فبقي غياثًا لمن بعده، فمن شربه بإخلاص وجد ذلك الغوث.

وقال النبي ﷺ: «**خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم وشفاء من السقم**»[2].

وليس أدل على بركتها من أن الله اختار ماءها لغسل قلب سيد المرسلين محمد ﷺ، لما لهذا الماء من دور في تطهير القلوب وتقوية الأرواح، وفهم الصحابة بركتها فكانوا يسمونها شَبَّاعة حتى قال عنها **عبد الله بن عباس** رضي الله عنه: «**وكنا نجدها نعم العون على العيال**»[3].

---

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٥٠٢ في صحيح الجامع.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٣٢٢ في صحيح الجامع.
(٣) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٦٨٥ في السلسلة الصحيحة.

وفهِم علماؤنا الأجلاء قدرها.. فكان **الإمام الشافعي** يشربها بنية عجيبة ويخبرنا عن ذلك بقوله: «**شربنا ماء زمزم لتعلم العلم فتعلمناه، ولو شربناها للتقوى لكان خيرًا لنا**».

ولما أتاها **عبد الله بن المبارك** [ت: ١٨١ هـ] شرب شربة، ثم استقبل القبلة، وقال: «**اللهم إن ابن أبي الموال حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «ماء زمزم لما شُرب له»، وهذا أشربه لعطش القيامة**»، ثم شربه.

ذكاء طالب علم

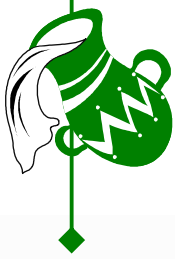

قال **أبو بكر الحميدي**: كنا عند **أبي محمد سفيان بن عيينة** [ت: ١٩٨ هـ] فحدثنا بحديث زمزم إنه لما شرب له، فقام رجل من المجلس، ثم عاد فقال: يا أبا محمد.. أليس الحديث صحيحًا الذي حدثتنا به في زمزم أنه لما شُرِب له؟! فقال سفيان: نعم. قال: «**فإني شربت الآن دلوًا من زمزم على أنك تُحدِّث بمائة حديث**»، فقال سفيان: اقعد، فحدّثه بمائة حديث.

تعلّم من الأعراب

إن خانك لسانك ولم تُسعِفك فصاحتك، فليس أقل من أن تكون مثل هذا الأعرابي الذي وقف على زمزم فوجد الناس يشربون، ويسألون مطالب لهم مختلفة، فرفع إناء مملوءًا منها إلى فمه وقال: «**اللهم إن هؤلاء قد اختاروا لأنفسهم، فاختر أنت لي**»، ثم شرب.

فجهّز أخي المشتاق كل ما ترغب فيه من نوايا ودعوات.. ورجاء وأمنيات.. لتتقدم بها إلى الله وأنت تشرب من ماء زمزم، فإنك مُجاب بإذن الله.

السعي بين الصفا والمروة

فاستشعر أنك عبد تسعى بين يدي مولاك ذاهبًا وآتيًا مرة بعد أخرى إظهارًا لإخلاصك له.. رجاء أن يلمحك بعين الرحمة، ويشملك بعطايا خير ومِنَح بِرّ تطلّق بعدها الشقاء إلى الأبد، ولا تزال تسعى مرة بعد مرة ترجو أن تُرحم في الثانية إن لم تُرحم في الأولى.

واستشعر كذلك أنك تبحث عن شيء هنا وهناك.. وتنشد ضالة هي عندك أغلى ما تملك وهذه الضالة هي (**رحمة الله تعالى**)، عسى الله أن يرحمك برحمته الواسعة كما رحم هاجر وابنها فأفاض عليهما ماء

زمزم، فالسعي في حقيقته ركض في طلب الرضا، وتشمير لنيل الأجر، وكدح لجمع الحسنات وحط السيئات.

وتعلّم الثقة بالله والتوكّل عليه، إذ أن الصفا والمروة من شعائر الله، والشعيرة هي العلامة أو التذكار، ذلك أن الصفا والمروة يذكِّران بأصل عظيم هو الثقة بالله والتوكل عليه، فقد أسكن إبراهيم عليه السلام زوجه وابنه في منطقة جرداء لا زرع فيها ولا ماء امتثالاً لأمر الله ويقيناً فيه مع انقطاع الأسباب، وأطاعت زوجه هاجر الأمر قائلة في يقين: «**آلله أمرك بهذا؟! إذن لن يضيّعنا**»، فكانت نِعم العون لزوجها على طاعة الله حين قالت: «**اذهب لما أمرك الله**».

فأحب الله منهما هذا الصنيع، وخلّد ذكره على مر الأجيال لنقتدي به ونتعلّم منه، فجعل الصفا والمروة من أركان الحج والعمرة لتظل أبدًا تنطق بهذا المعنى وتتكلم، وأبقى زمزم تفيض بالماء إلى قيام الساعة ببركة هذا التوكل ليستلهم الناس هذا المعنى، ويملئوا الروح به كلما اغترفوا منها وشربوا.

وتعلّم الإصرار واقتل اليأس فقد كانت هاجر تسعى هنا وهناك دون أن تهدأ حتى حصلت على بغيتها عن طريق تكرير سعيها سبع مرات! بتصميم وثبات وعدم يأس من تحقيق هدفها، في رحلة أصدق ما توصف به أنها **رحلة الألم والأمل**، ولقد كان بإمكانها أن تُعذِر إلى الله بأن تسعى مرة أو مرتين.

إنه الدرس العظيم في حقيقة الإيمان الراسخ، وفي إثبات أن رحمة الله فوق اليأس، وأن الإيمان واليأس لا يجتمعان في نفس المؤمن، وأن نفس المؤمن فوق قوى الطبيعة.

وابذل الأسباب وتعلّق بربها فقد سعت هاجر بحثًا عن الماء حتى انفجر تحت قدم إسماعيل، ليس في المكان الذي سعت فيه بل في مكان آخر أمام الكعبة وتحت قدم رضيع لا حول له ولا قوة، دلالة على أن الأخذ بالأسباب واجب لكنه ليس سبب النجاة، بل الأمر كله لله الذي أمر جبريل فضرب بجناحه تحت قدم إسماعيل لتتفجّر زمزم بضربة ملَك تحت قدم نبي، فتعلّم الدرس وامضِ سعيًا وراء الأسباب على أن تتعلّق بربها، وابذل غاية المجهود ليعين الرب المعبود.

الحلـــــــــــــــق

وبعد الانتهاء من السعي يبقى ركن واحد حتى تتحلل من إحرامك وهو أن (**تحلق**)، وكأنك تزيل عنك كل ما يذكرك بالماضي لتفتح صفحة جديدة مع الله، وهو تفاؤل بحطّ السيئات، وانسلاخ من حياة الإثم، وتوبة مما مضى، وعزْم على إصلاح ما بقي، وليس الحلق محوًا للسيئات فحسب بل ربحًا للحسنات كذلك، وقد مرّ بك: «**فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة**»[1].

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ١٣٦٠ في صحيح الجامع.

وتذكّـر عند الحلق أنك طأطـأت رأسـك لتحلـق شعـرك معلنـًا أنـك راض بفعـل كـل شيء يُـرضي الملـك، وأنـك أسـلمت ناصـيتك لـه ليس الآن فحسب بل وفي كل وقـت وحـين.

والحلـق أوْلى فقـد تـرحّم النبـي ﷺ عـلى المحلقـين ثلاثًـا ، وعـلى المقصرين مرة؛ لأن الحلق أكمل امتثالاً للأمر، فالإنسان يحب بقاء شعره للزينـة والتجمل، وقد يتألم مـن حلقـه، فـإذا حلـق هـذا الشـعر طواعيـة، كان ذلك دليلاً على كمال عبوديته لله وتضحيتـه في سبيلـه.

يـــــوم التروِيـــــة

اليوم هو اليوم **الثامن من ذي الحجة** المعروف باسم (**يوم التروية**)؛ وسُمّي بذلك لأن العرب كانوا يملؤون قربهم في ذلك اليوم ويرتوون ليوم عرفـات إذ لم يكن فيهـا يومئـذ مـاء..

فاستحضـر في هذا اليوم معنـى التـزود للآخـرة، واعـترف بعطشـك الشـديد لـزاد التقـوى والإيـمان، وحاجتـك الماسّـة لغيـث الهـدى والإحسان، واستشعر أنك ساع في سفر طويل بـزاد قليـل، فـاملأ حنايـا قلبك اليوم بما تستطيع من مـاء التقـوى ذلك خـير.

وهذه الليلـة ليلـة مصيريـة في عمـرك، فغـدًا يـوم عرفـة؛ وهـو أهـم يـوم في الحـج بـل أهـم يـوم في حياتـك، فغـدًا ترجـع مـن ذنوبـك كيـوم

ولدتك أمك، وغدًا تبدأ بداية جديدة مع الله، وغدًا تهزم الشيطان وتبطل كيده.

والذهاب إلى منى فيه إعداد نفسي لك قبل وقوفك بعرفة حيث الانقطاع في الصحراء للعبادة فقط فلا مخالطة للناس ولا تشتيت للهم، ومن فاته المبيت بمنى جاز حجه لكن فاته خير كثير.

واستشعر الخوف وأنت في منى من عدم قبول حجتك وردك غدًا على أدبارك مطرودًا غير مقبول، وهل ستكون ممن اطلع الله على قلوبهم فرضي عنهم أم علم خبثهم فسخط عليهم؟!

واقلق من عدم توفيق الله لك، فلعلك لا تصل غدًا إلى عرفة فتضيع حجتك وتُحرم الخير كله، فهل ستدرك الموقف أم لا؟! وهل ستعيش حتى تصل هناك أم أن الموت سيدركك قبل ذلك؟!

الوقوف بعرفة

وأما الوقوف بعرفة وما أدراك ما عرفة... فاعلم أن اليوم فاصل لك بين عهدين، وتحول جذري في مسار حياتك، ولذا حصر رسول الله ﷺ الحج فيه فقال: «الحج عرفة»[1].

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٣١٧٢ في صحيح الجامع.

واستشعر مثولك أمام الله في ميدان الحشر، وحيرتك في هذا الموقف بين الرد والقبول، وطمعك في شفاعة الرسول ﷺ، وأجْرِ على نفسك اليوم تأملاً ما سيجري عليك غدًا حقيقة وواقعًا.

وألزم قلبك الضراعة والخشوع والتوبة والخضوع، وأخرج كل خاطر من خواطر الدنيا من قلبك، وأقبل على الله بكل ذرة من كيانك، فمنذ سنين وأنت تحاول الوصول إلى ساحل القبول وما أدركت الشط، وها هو اليوم أمامك على مرمى البصر، فإن كتبت جواب توبتك بدموع الأسف غُفِر لك ما قد سلف.

وأشهر فيه إفلاسك واعترف بفقرك، وأقر بعجزك وجهلك، واستحضر صحيفة ذنوبك الماضية وقبيح سوابقك المهلكة، واذكر الساعات الضائعة من عمرك، واندم على التفريط في زمن الصبا، فكم أتعبت الحفظة سنين، وسهرت في المعاصي حينًا بعد حين.

وأظهر الفاقة والمسكنة حتى تكون ممن مستحقي للصدقات، ألم تقرأ قول ربك: ﴿**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ**﴾ [التوبة: من الآية ٦٠].

وتعبيرًا عن ذلك: **ارفع** يديك إلى صدرك متمثِّلا أعلى درجات الذل والعبودية مقلدًا نبيك الذي قال عنه **ابن عباس** رضي الله عنه: «**رأيتُ رسول الله ﷺ يدعو بعرفة ويداه إلى صدره كاستطعام المِسكين**».

يا الله.. يفعل هذا وقد حُشرت له جزيرة العرب عن بكرة أبيها بقبائلها وأبطالها وشعرائها وبطونها، تأتمر بإشارة واحدة منه،

لكنه ﷺ كان كلما ملك زاد فقرًا، وكلما علا سجد ذلاً، لعلمه أن الفضل كل الفضل لله رب العالمين، فليتعلَّم ذلك كل من مسته نفحة كبر أو أصابته نوبة غرور ليتواضع.

وأكثر فيه من الدعاء، فهو عبادة الوقت وأفضل الأعمال في هذه الساعات، وأقرب دعاء من القبول على الإطلاق، فإن «**أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة**»(١)، والدعاء معناه الأمل، والأمل معناه اليقين، وفي اليقين الراحة الغامرة والسكينة الرائعة التي لا تساويها كل كنوز الدنيا.

وقد منعك الله من صيام هذا اليوم وحّرمه عليك حتى لا تضعف عن الدعاء، وفي قصر الصلاة وجمعها اليوم دلالة واضحة على ذلك، وكأن المقصود أن يطول دعائك وتضرعك إلى أقصى ما تستطيع، فسبحان من أعانك على ما فيه نفعك ثم تنساه!! وأرشدك إلى ما فيه فوزك ثم تغفل عنه!!

قلد نبيك وإلا..

لا تضيع اليوم لحظة واحدة مقتديًا في ذلك بنبيك ﷺ الذي شغله الذكر والدعاء يوم عرفة عن كل شيء حتى عن طعامه وشرابه، حتى ظن كثير من الصحابة أنه صائم...

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ١١٠٢ في صحيح الجامع.

فعن **أم الفضل بنت الحارث** أن ناسًا تماروا عندها يوم عرفة في صوم رسول الله ﷺ، فقال بعضهم هو صائم، وقال بعضهم ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره بعرفة فشرب[1].

نعم لم يضيع لحظة واحدة، وكأنه يقول لك: الوقت اليوم لا يقدر بثمن، فكل لحظة تُنفقها في غير طاعة أعظم خسارة، ودعاك إلى ذلك بفعله لتكون استجابتك أسرع وطاعتك أقرب.

فعن **أسامة بن زيد** رضي الله عنه: «**كنتُ رديف النبي ﷺ بعرفات فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته فسقط خطامها، فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى**»[2].

واسمع إلى حديث جابر رضي الله عنه وتعلم منه: «...، **ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس**»[3].

تأمل قوله: «**فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس**»... داعيًا دون ملل، راجيًا دون كلل، وظل على تلك الحال حتى بعد غروب شمس عرفة وأثناء سيره لمزدلفة، وهو وقت ينشغل فيه الناس بالزحام إن لم يكن بالجدال واللغو من الكلام...

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢١٣٢ في صحيح أبي داود وهو في البخاري ومسلم.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٩٦١ في سنن النسائي، وحديث رقم: ٢٠٨٢٠ في مسند أحمد.
(٣) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٤٩٤ في صحيح ابن ماجة.

لكن رسول الله ﷺ يُعلمنا غير ذلك.. حيث أفاض ﷺ وردفه أسامة بن زيد رضي الله عنه، فجالت به الناقة وهو رافع يديه لا تجاوزان رأسه فما زال يسير على هينته حتى انتهى إلى جمع (مزدلفة).

العجلة من الشيطان

قال النبي ﷺ: «**أنا دعوة إبراهيم، وكان آخر من بشّر بي عيسى بن مريم**»(١).. ومن العجيب أن بين دعوة إبراهيم: ﴿ **رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وبين إجابتها ببعثة النبي محمد ﷺ ما يزيد على ألفي عام..

فلماذا يتعجل المتعجلون؟
ولماذا يقنط الداعون؟
ولماذا يتذمرون ويقولون:
دَعَوْنا دَعَوْنا فلم يُستجب لنا؟

مع أن الإجابة أكيدة.. فالخير عميم، والرب كريم، والفضل عظيم، وحق الزائر مصون، وتعبه غير مضيع.

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٤٦٣ في صحيح الجامع.

متى تدعو في حجتك؟

قال **ابن القيم** [ت: ٧٥١ هـ] رحمه الله في زاد المعاد: «تضمنت حجته ﷺ ست وقفات للدعاء:

- الموقف الأول: على الصفا
- والثاني: على المروة
- والثالث: بعرفة
- والرابع: بمزدلفة
- والخامس: عند الجمرة الأولى
- والسادس: عند الجمرة الثانية».

وأحسن الظن بالله، فالموقف موقف إجابة، والساعة ساعة إجابة، وكل ما في الموقف يدعو إلى الإجابة، فما أقربك اليوم من الله وأنت لا تشعر، وما أحبك إليه وأنت لا تُبصر، وما أعظم رحمته بك وأنت من القانطين، ويكفيك أنه «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا أو أمة من النار من يوم عرفة**»[1].

ولذا كان من أعظم الذنوب أن يحضر عبد عرفة وهو يظن أن الله تعالى لن يغفر له، وكان أول ذنب تقترفه فور النزول من عرفة أن يبادرك شك أن الله لم يغفر لك، فإلى كل مريض أعيى أطباء القلوب وأحيا مجالس الذنوب: أبشر فقد حانت ساعة الخلاص.

قال **عبد الله بن المبارك**: جئت **سفيان الثوري** [ت: ١٦١ هـ] عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تذرفان، فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ فقال: الذي يظن أن الله لم يغفر له.

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٧٩٦ في صحيح الجامع.

ورُوي عن **الفضيل بن عياض** [ت: ١٨٦ هـ] أنه نظر إلى نشيج الناس وبكائهم عشية عرفة، فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقًا - يعني سدس درهم - أكان يردهم؟ قالوا: لا. قال: والله للمغفرة عند الله أهْوَن من إجابة رجل لهم بدانق!!

ولم لا يُستجاب دعاؤك وأنت وسط مئات الألوف من الألسنة الذاكرة والأفئدة الخاشعة، ولابد أن يكون فيهم من هو مجاب الدعوة بإذن الله، فتدخل في من قال الله فيهم: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»[1]، فإن لم تُرحم بسبب عملك رُحِمتَ بسبب من حولك، وإن لم يُغفر لك بضراعتك فقد كفاك الله بضراعة من جاورك.

وقف النبي ﷺ بعرفات وقد كادت الشمس أن تؤوب فقال: «يا بلال.. أنْصِتْ لي الناس»، فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ، فأنصت الناس، فقال: «**معشر الناس.. أتاني جبرائيل عليه السلام آنفًا فأقرأني من ربي السلام وقال: إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر وضمن عنهم التبعات**»، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله.. هذا لنا خاصة؟ قال: «**هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة**»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كثر خير الله وطاب[2].

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢١٧٣ في صحيح الجامع.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ١١٥١ في صحيح الترغيب والترهيب.

خذوها من غير فقيه

سمع **عبد الله بن عباس** ﷺ أعرابيًا يقرأ: ﴿ **وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا** ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٣]، فقال الأعرابي: «**والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها**»، فقال ابن عباس: «**خذوها من غير فقيه**».

الله أكرم منك ياحكيم

كان **حكيم بن حزام** ﷺ [ت: ٥٤هـ] يقف بعرفة ومعه مائة ناقة ومائة رقبة، فيتصدق بها يبغي بها أن يُعتق الله رقبته من النار فيضجّ الناس بالبكاء والدعاء ويقولون: ربنا.. هذا عبدك قد أعتق عبيده، ونحن عبيدك فأعتقنا.

يوم الصلح مع الله

قال رسول ﷺ: «**إن الله تعالى يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة يقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا**»(١).

شُعْثًا: أي متغيري الأبدان والشعور والملابس لقلة تعهدهم إياها، **غُبْرًا**: ركبهم غبار الطريق من طول مشيهم وتعبهم فيه..

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٨٦٨ في صحيح الجامع.

وهذه المباهاة دليل على أن الله قد غفر لهم ورفعهم إلى مقام أعلى من مقام الملائكة، إذ لا تُباهى الملائكة المُطَهَّرون إلا بمن هو أطهر منهم، لذا تجد الوجوه غير الوجوه، فالوجوه آخر ذلك اليوم ليست وجوه أول النهار... فقد علاها النور وكساها البِشر والسرور... ولذا لا يُرى الشيطان في يوم أخزى له من هذا اليوم؛ لأن الذي فعله طيلة العام جعله الله اليوم هباءً منثورًا ونسفه من الأساس.

جدد العهد مع ربك إن كنت قد نسيت عهدك الأول معه وأنت في عالم الذر، واسترجع ذكريات الماضي لتستفيق من غفلة الحاضر، فقد قال النبي ﷺ: «**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة، وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾**»[1].

من نسي ذكرناه

والحر الكريم لا ينقض العهد القديم، والبَرُّ الوفي لا ينسى عهد من لا ينساه طرفة عين، وكأن الله فرض عليك الحج لتعود إلى نفس المكان تذكيرًا لك لتستحي من نقض عهدك، بل لتجدده معلنًا أنك ستظل وفيًا لما تعلّمته أثناء حجك، وستداوم عليه بقية حياتك بعد رجوعك إلى وطنك، وإلا فمن لم يوفِّ بعهده اليوم عوقب بالصَّد غدًا.

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٧٠١ في صحيح الجامع.

قال النبي ﷺ: «**أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**»(١).

قال **الحسين بن الحسن المروزي**: سألت **سفيان بن عيينة** [ت: ١٩٨ هـ] عن أفضل الدعاء يوم عرفة، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقلت له: هذا ثناء وليس بدعاء، فقال: أما تعرف حديث مالك بن الحارث: يقول الله عز وجل: «**إذا شغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين**»، ثم قال: أما علمت ما قال **أمية بن أبي الصلت** حين أتى **عبد الله بن جدعان** يطلب نائلة:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرّضه الثناء

ثم قال: «يا حسين.. هذا مخلوق يكتفي بالثناء عليه دون مسألة، فكيف بالخالق؟!».

ولأن الثناء خير عند الله سبحانه وتعالى من الدعاء كانت سورة الفاتحة نصفين: نصف ثناء ونصف دعاء، ونصف الثناء هو المقدّم لأفضليته.

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ١٥٠٣ في السلسلة الصحيحة.

تنبيه الغافلين في عرفة

يا مسكين.. رقاب الصالحين من النار تُعتق وأنت بعد لا تدري ما حال رقبتك.. صحائف الأبرار تبيض من الأوزار وصحيفتك لا تزال مسودة من الآثام.

أليس لك سمع، أو ما معك قلب، والله لو كان قلبك حيًا لذاب حسرة وكمدًا على ضياع المغفرة والعتق في عرفات.. آه لو كشف لك الغيب ورأيت كم ضيعت من الحسنات، وكم من فرص المغفرة فات، وكم وقت للإجابة ذهب عليك حسرات.

أخي... اهتف مع الداعين.. نادِ مع المستغيثين.. ارفع أكف الضراعة هاتفًا في استماتة:

يا كثير العفو عمن ... كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو ... الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء ... الضيف إحسان إليه

أيها الحاج... ادع الله بما كان يدعو به **علي بن موسى** [ت: ٢٠٣ هـ] بالموقف.. وقل:

«اللهم كما سترت عليَّ ما أعلم فاغفر لي ما تعلم، وكما وسعني علمك فليسعني عفوك،وكما أكرمتني بمعرفتك فأشفعها بمغفرتك يا ذا الجلال والإكرام».

قلّد أبو عبيدة الخواص وهو يقول في الموقف بعدما كبر وهو آخذ بلحيته: يا رب.. قد كَبرتُ فأعتقني.. وأنشد:

إن الملوك إذا شابت عبيدهمُ ... في رقّهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرمًا ... قد شبتُ في الرِّق فاعتقني من النار

ناجٍ الله بما ناجاه به الصالحون يوم عرفة.. واهتف: « اللهم لا تمنعني خير ما عندك بسوء ما عندي... اللهم إن كنت لم تقبل تعبي ونصبي، فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته... اللهم من وصلته في هذا الموقف اليوم فلا تقطعه إلى أن يموت».

أمولاي إني عبد ضعيف ... أتيتك أرغب في ما لديك
أتيتك أشكو مصاب الذنوب ... وهل يشتكى الضر إلا إليك
فمُنَّ بعفوك يا سيدي ... فليس اعتمادي إلا عليك

ومع دنو الشمس من الغروب تتسارع ضربات قلبك، وتتسامى روحك إلى أطهر حالاتها، وتدعو الله بدعاء مودِّع لم تدع بمثله في حياتك قط.. فما هي إلا دقائق معدودة وينفض موقف المغفرة وينقضي موسم العتق، وأنت لا تدري بعد..

أمقبول أنت أم مطرود؟! أرابح اليوم أم خسران؟!

فيرتجف قلبك خوفًا، وتنهمر دموعك وجلاً، ولا تزال على تلك الحالة حتى تغرب الشمس.

وأُهدي إليك أخي المشتاق ما سبق وأهداه لك **الفضيل بن عياض** [ت: ١٨٦ هـ] يوم عرفة، حيث وقف يبكي بكاء الثكلى المحترقة وقد شغله البكاء عن الدعاء، فلما كادت الشمس أن تغرب وهُرع الناس إلى رواحلهم يعدونها ليمضوا.. عندها رفع الفضيل رأسه إلى السماء وقال: «**واسَوْءَتَاهُ وَإِنْ عَفَوْت**». ولسان حاله:

وصلوا إلى عرفات يبغون الرضا ... وبقيتُ منكسرًا ببطن الوادي
رفعوا أكفهمو وضجّوا بالدعا ... وبكيتُ من خجلي وذاب فؤادي

فاجعل كلمة الفضيل شعار سيرك إلى ربك لتُدلي إليه بعظيم خجلك، وتعبر به عن شدة حيائك من كثرة ذنوبك وقبيح فعلك، وإن عفا الرب وإن تجاوز وصفح.

التوجه إلى مزدلفة

وإذا غربت شمس يوم عرفة توجه إلى «**مزدلفة**»، ويُقَال لها أيضًا: (**جَمْع**) لاجتماع الناس بها، وقيل: لجمع المغرب والعشاء فيها، وهي (**المشعر الحرام**) الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ **فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ** ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٨]، وذلك حكم مسبق من الله ومعجزة بالغة منه

فقد أخبر أن عرفات ستمتلئ عند الخروج منها عن آخرها، وتضيق عن العدد المحدد لها حتى وكأنها تفيض...

فنفّذ أمر ربك، واقض ليلتك - ما استطعت - متفرّغًا للذكر والعبادة، مغتنمًا الدفعة الهائلة المكتسبة من الدورة الروحية المكثّفة أثناء الوقوف بعرفة؛ مقتديًا بنبيك ﷺ الذي ظل يدعو ويذكر الله في مزدلفة حتى أسفر الصبح جِدّا (إسفارًا بليغًا)، لتبدأ عندها في التحرك من المزدلفة بعد أن يكون نور التوبة والإيمان قد أسفر في قلبك مبددًا ظلام الغفلة والعصيان، كما أسفر النور على الأرض فبدّد الظلام.

قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٩]، **ولكن لماذا الاستغفار؟!**

والجواب: سدًّا للخلل الذي قد يكون بدر منك أثناء أداء عبادتك وخلال نسكك، وسبب آخر لذلك: أنك لست إلا واحدًا من الناس، فإذا خطر ببالك أنك فعلت شيئًا أو تستحق شيئًا، أو بدر لك أنك خير من فلان أو فلان، أو حدّثتك نفسك بزهو أو غرور أو إعجاب، فاستغفر الله وجدد إيمانك، فإن الرضا عن النفس أخفى مكائد الشيطان.

واستشعر وحدة المسلمين وأنت ترى هذا الجيش الجرّار الذي تزدحم به الأودية الفسيحة والأرجاء الممتدة، مبتداهم عرفات ومنتهاهم مزدلفة... وحدة في المشاعر، ووحدة في الشعائر، ووحدة في الهدف، ووحدة في العمل، ووحدة في القول.

فابــكِ لذلك فرحًا وابتهاجًا، وابتهل إلى الله أن يؤلف بين قلوبهم مدى الدهر كما ألّف بينهم اليوم، ليكونوا كما وصفهم نبيهم الكريم ﷺ: «**جسدًا واحدًا**».

أخي أنا أنتَ وأنتَ أنـــا ... رباطُ العقيدةِ قد ضَمَّنا
فإمّا أُصبتَ بسهمٍ هناك ... تلمّستُ جرحًا بقلبي هنا

ولماذا لا نكون كذلك ونحن كما قال **إقبال**:

ألم يبعث لأمتكم نبي ... يوحِّدكم على نهج الوئام
ومصحفكم وقبلتكم جميعًا ... منار للأخوة والسلام
وفوق الكل رحمن رحيم ... إله واحد رب الأنام

إن رحلة الحج من مبتداها إلى منتهاها تصوير عملي لمعاني الأخوة الإسلامية السامية، والحج مقدمة ضرورية لإحياء عقد الأخوة المقدس مع إخواننا المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، وتوطئة لابد منها تمهد الطريق لرفع الظلم عنهم.

أخي في العقيدة لن نيأسا ... قريبًا سيجلو الصباحُ المسا
وسوف نزفُّ إلى العالمين ... بشائرَ تُنسي ظلام الأسى
فإنّا مع الفجر في موعدٍ ... عساه يكون قريبًا.. عسى

وهذا الجمع سبق واستثار مشاعر **عمر بهاء الدين الأميري** فأطلق لخياله العنان في حج عام ١٣٨٨هـ، وقام ينادي على الحشود الهائلة متمنيا لو أنهم كما توجهوا إلى الكعبة توجهوا إلى قبلتهم الأولى

متسلِّحين بسلاح الإيمان، ممتشقين سيف الوحدة والإخاء، محتمين بركن الله الذي لا يُضام، فانبرى يحثهم على الزحف المقدّس ويرغِّبهم في الجهاد في سبيل الله.. ويقول:

يا حجيج البيت الحرام المُفدَّى ... وجِّهوا حشدكم إلى القدس سعيا
في فلسطين حفنة من يهود ... تتحدّى الإسلام حربًا وبغيا
أيها الناحرون أكباش عيد الحج ... وعيًا لخطبه الضخم وعيا
لو نحرنا تفريطنا وبدَلْنا الحج ... مالاً يُساق للقدس هديا
ونهينا ونحن في شدة الكرب النو ... فوس الغفلى عن اللهو نهيا
فإذا ما تحرر المسجد الأقصى ... فحج حقٍّ وعيدٌ ولُهيا

ولا يريد الشاعر منا أن نلغي حجنا اليوم وننفر إلى فلسطين على الحقيقة، لكنه يريد أن يذكِّرنا: كنتم بالأمس تطوفون بالبيت وثالث الحرمين بين أيديكم، واليوم تطوفون بالبيت وبيت المقدس تحت قهر يهود.. وتقفون بعرفة بينما يحطّ أخس الأنجاس على باب مسرى رسول الله ﷺ.. وتنفرون إلى مزدلفة في وقت تنفر عصابات الشر من الصهاينة إلى ساحات المسجد الأقصى سعيًا لهدمه وتنافسًا على تدميره وحرصًا على شرف إقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه!!

وتهيَّأ للمبيت في مزدلفة، فبعد الانتهاء جهد يوم عرفة الشاق والسير إلى مزدلفة في رحلة تمتد ٧ كيلومترات، تصلي المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا، وتجمع جمراتك التي سترميها الأيام المقبلة، ثم تنام كما

سنَّ لك النبي ﷺ مراعاة منه للواقعية وتلبية الاحتياجات البشرية، فتنام نومة عميقة هنيئة لم تنم مثلها من قبل، فيها بركة غريبة وسكينة عجيبة، وكأنك تنام على أنعم الفُرُش مع أنك تفترش الأرض والتراب!!

وكما ينتفع المرء بنوم الليل أكثر من نوم النهار، فساعة بالليل أكثر بركة من عشر ساعات بالنهار، يأتي النوم بمزدلفة مفعمًا بالبركة الوفيرة؛ لأن العلاقة بين النسك والوقت الذي حُدِّد له جدٌّ وثيقة وفيها فوائد جمة.

وانوِ بنومة مزدلفة نيل بركة التأسي بالنبي ﷺ، وإعطاء الجسد راحة ليتقوى على الطاعة ويستئنف المناسك، وتقديم اختيار الله على اختيارك، والتواضع بافتراش التراب مع أفقر الفقراء.. ومن فاته المبيت بمزدلفة فاته كمال العبادة.. وخسر ثمرات طيبات لا يعرفها إلا من نالها... ومن ذاق عرف!!

رمي الجمار

وأما رمي الجمار... فاقصد به الانقياد لأمر الله إظهارًا للرق والعبودية.. وليكن رميك الجمار في كل يوم من أيام منى بمثابة **إصرار منك** على رمي أهوائك وشهواتك وغفلتك وزلاتك بجمرات العزم والتوبة النصوح، فهو رجم حسي يُراد به الرجم المعنوي..

وارفـــع صوتك عنـد رمي الجمـار بالتكـبير بـدلاً مـن التلبيـة[1]: (**باســم الله والله أكـبر**)، مستعينـًا بـالله عـلى عـدوك، مستمدًا منه القـوة والمـدد في معركتـك.. ويسـتمر تكبـيرك طيلـة أيـام الـتشريق عقـب الصلوات وسائر الأوقات[2]، ولعل الحكمة في هذا أن التكبير هو أفضل ما يُستعان به على عدو الله إبليس في الأيام التي يُرجم فيها رمـزه[3].

وانـوِ به مواجهـة عـدوك الأول والأوحـد في الحيـاة.. **واقصـد به الإصرار عـلى عـداوتك لـه** وجعلهـا محـور حياتـك كلهـا، **وإظهـار هـذه العداوة** بدلاً من أن تكـون باطنـة فحسب، دحرًا لعدوك وإرغامًا لأنفـه حتى يقطع الأمل منك ويأس من خضوعك له..

وبإعلانك هذا العداء يـرضى عنـك الله ويفـرح، فـإن دعوتَـه في هـذه اللحظة كانت إجابتـك مؤكـدة، وقـد سـهّل الله عليـك الطريـق إلى هـذا

---

(١) مرَّ بك أن رسول الله ﷺ لم يزل يلبي حتى بلغ الجمرة. (صحيح) انظر حديث رقم: ٨٠٥ في اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان.

(٢) وصيغـة التكبير الـواردة: «الله أكبر الله أكـبر، الله أكـبر ولا إلـه إلا الله، الله أكـبر ولله الحمـد».

(٣) والتكبـير صيحـة المؤمنـين في مواجهـة أي عـدو أو خطـر، فقد رُوي عن **عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الحريـق، فكبِّروا فإن التكبير يُطفئه»، أخرجه ابن السني والطبراني في السلسلة الضعيفـة رقم: ٢٦٠٣.
قال ابن القيم في زاد المعاد: «لما كان الحريق سببه النار، وهي مادة الشيطان التي خُلِق منها، وكان فيها من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله، كان للشيطان إعانة عليه وتنفيذ له، وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد، وهذان الأمران – وهما العلو في الأرض والفساد – هما هدى الشيطان وإليهما يدعو، وبهما يُهلِك بني آدم، فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الأرض والفساد، وكبرياء الرب عز وجل يقمع الشيطان وفعله، ولهذا كان تكبير الله عز وجل له أثر في إطفاء الحريق، فإن كبرياء الله لا يقوم لها شيء، فإذا كبَّر المسلم أثَّر تكبيره في خمود النار وخمود الشيطان التي هي مادته، فيطفئ الحريق، وقد جرَّبنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك، والله أعلم».

الكنز وحماك من أن تضيِّعه أو تنساه، فعلّمك عن طريق نبيك أن تستقبل القبلة عقب كل جمرة وتدعو بما تشاء، فقد كان ﷺ يغتنم هذه الفرصة فيدعو عقب الجمرة الأولى والثانية دعاء طويلاً طويلاً أطول مما تتصور، بمقدار قراءة سورة البقرة!!

وفي دعائك عقيب الرمي استعانة بسلاح الدعاء في كل موقف، وإعلان افتقارك دومًا إليه سبحانه ؛ فبعونه فحسب يأتي النصر ـ والغلبة في معركتك ضد عدو الله وعدوك إبليس.

وتذكر العقبة وأنت ترمي جمرة العقبة، فكم وضع الشيطان من عقبات في طريقك... **وتذكر** عندها عقبات النفس ورذائلها ولا أصعب، فإن عبورها وتجاوزها إلى الفضائل أشد من صعود الجبال..

وما أدراك ما العقبة؟

العقبة.. عقبة الشح والبخل، وهي من أصعب العقبات، لذا قال تعالى: ﴿ **فَكُّ رَقَبَةٍ** ﴾.

العقبة.. ﴿**إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ**﴾.. أي يوم شديد الجوع، ويُطعم من؟

← ﴿**يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ**﴾: أي له به قرابة.

← ﴿**أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾: وهو المسكين شديد الجوع الذي ليس لديه ما يملكه حتى التصق جسده بالتراب من شدة الفقر.

العقبـــــة.. ﴿ **وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ** ﴾.. وهـذه عقبـة الصحبة الصالحة ومشاركتهم في حمل أمانة الحق والصبر عليه، وهي عقبة يصدك بها الشيطان عن نصرة الدين ومشاركة الدعاة المصلحين.

إلى غير ذلك من عقبات لا حصر لها تفرضها العادات السيئة والشهوات المردية والشبهات المضلة التي ترجمها اليوم في ما ترجم أثناء حجك.

وتذكـر تاريخ ثـأرك وأنت ترمي، ففي بيعة العقبة الثانية لما أخذ النبي ﷺ البيعة من أصحابه، اغتاظ الشيطان فصرخ بأنفذ صوت سُمِع قط.. صراخًا سمعه أهل منى: «يا أهل الأخاشب (منازل منى).. هل لكم في محمد والصُّباة معه.. قد اجتمعوا على حربكم»، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أزْب العقبة، هذا ابن أُزيب**[1]، **أما والله يا عدو الله لأتفرغَّن لك!!**».

وصدق رسول الله في ما توعَّد به الشيطان، فقد تفرَّغ له حتى استنقذ القلوب من ضلاله وحرَّر الخلق من شراكه.. وأنت اليوم ترجع إلى نفس المكان لتنتقم من الشيطان الذي كاد النبي ﷺ وصحبه، فتغيظه وتحرقه بجمرات نارية ملتهبة أشعلتها روح التحدي والثأر لنبيك، وهي أول الغيث منك في دائرة الانتقام، ثم يتبعها سعي متواصل عقب الحج في التفرغ للشيطان ومحاربته...

(١) الْأَزَبّ في اللغة: الْقَصِيرُ وهو اسم الشيطان. وَالْأَزْيَبُ: الْبَخِيلُ. وَأَزْيَبُ: اسْمُ رِيحٍ مِنْ الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ، وَالْأَزْيَبُ الْفَزَعُ أَيْضًا، وَالْأَزْيَبُ الرَّجُلُ الْمُتَقَارِبُ الْمَشْيِ.. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ ابْنُ أُزَيْبٍ.

وهي جمرات وإن كانت نارية على عدوك إلا أنها نورانية عليك. قال رسول الله ﷺ: «**إذا رميت الجمار كان لك نورًا يوم القيامة**»(١).

والرمي تكفير كبائر ومحو صغائر. قال ﷺ: «**وأما رميتك الحجار، فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات**»(٢).

وأبشر أخي.. إن كان مع كل حصاة تكفير كبيرة من الكبائر فما بالك بالصغائر؟ أنت إذن ترجم شيطانك وترجم معه ما أوقعك فيه من أخطاء وزلل، لتصيب السبب مع النتيجة في ضربة واحدة، وتقضي على الجريمة والمحرِّض عليها في آن واحد.

ولأن الأمر ليس بحجم الحصاة ولا قوة ضربها بل بالشحنة الروحية التي تمتلئ بها هذه الحصاة، لذا كانت الحصاة متوسطة الحجم فوق حبة الحمص ودون حبة البندق.. وهذه الشحنة بكل ما فيها من نوايا أسلفناها هي وحدها ما يضاعف أجر رميتك ويثقِّل كفة حجتك ليصبح ميزانك أثقل من موازين الرماة من حولك، فتسبق السابقين وتنال فوق أجر الفائزين.

والرمي جهاد.. يقول **حافظ بك عامر**: «ذلك أن اليد المؤمنة يجب أن تكون يدًا ممرنة على أساليب الجهاد التي أهمها وأعظمها الرمي لإصابة الهدف.. ومن هنا يقرر بعض الفقهاء أن الرمية إذا أخطأت

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ١٥٥٧ في صحيح الترغيب والترهيب.
(٢) (حسن لغيره) انظر حديث رقم: ١١١٢ في صحيح الترغيب والترهيب.

لم تحتسب من العدد ويجب إعادتها حتى تصيب هدفها.. فهذا الرمي تحقيق لوصف اليد الحربية، فلا يريد الإسلام يدًا عاطلة ولا يدًا مخطئة ولا يدًا عاجزة».

ذبح الهدي

وأما ذبح الهدي.. فاستشعر أنك تقربه إلى الله تعالى لتفتدي به نفسك، وارْجُ الله أن يعتق بكل جزء من هديك عضوًا منك من النار، ورحم اللهُ **الإمام القفَّال** حين قال عن الهَدْي: «كأنَّ المتقرِّبَ بها وبإراقةَ دمائها مُتَصَوِّرٌ بصورة مَنْ يَفدي نفسه بما يُعادِلها، فكأنه يبذُل تلك الشاةَ بَدَلَ مُهْجته؛ طَلَبًا لمرضاة الله تعالى واعْتِرافًا بأن تقصيره يستحق مُهْجته!».

وعاهد ربك على تمام طاعته ولو أمرك بذبح ولدك وفلذة كبدك اقتداءً بالخليل إبراهيم عليه السلام حين أمره ربه بذبح ولده فلبى كلاهما وأطاع، فكافأهما الله بذِبح عظيم، وما أجمل قول القائل يستفزّنا للتضحية ويستنفرنا للبذل والفداء:

من كالخليل يُرينا خيرَ تضحية ... جلّت مواقفها عن كل تبيين
صحا مع الفجر صوت الوحي يُفزِعه ... قم يا بني فصوت الله يدعوني
إني بذبحك قد أُلهمتُ يا ولدي ... أمرُ السماء فهل تعصي وتُخزيني
فشمّر الطفل إيمانًا بلا جزعٍ ... جمّع قواك أبي خُذْ تلك سكيني

وتذكّر أن «**أعظم الأيام عند الله يوم النحر**»[1]، والجمهور على أن يوم عرفة أفضل ثم يوم النحر، فمعنى قوله (أعظم) هنا أي من أعظم.

المبيت بمنى

وأما المبيت بمنى: فبعد التحلل من الإحرام ترجع إلى منى مرة أخرى لتستقر فيها ثلاثة أيام تذكر الله فيها وتأكل وتشرب. قال رسول الله ﷺ: «**أيام التشريق أيام أكل و شرب و ذكر الله**»[2].

لذلك ثلاث حكم والله أعلم:

❁ **الأولى**: أن الله تعالى دعا عباده إلى زيارة بيته فأجابوه، وقد أهدى كل منهم إليه على قدر طاقته فذبحوا هديهم، وقبله منهم بل وقدّم لهم منه ضيافة وأطعمهم مما تقربوا به إليه، والضيافة ثلاثة أيام، فأكرم الله زواره بالطعام والشراب ثلاثة أيام، وعادة الملوك أنهم إذا أضافوا أطعموا من على الباب من الفقراء والمساكين، لذا قال تعالى: ﴿ **فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ** ﴾ [الحج: من الآية ٢٨].

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٠٦٤ في صحيح الجامع.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٦٨٩ في صحيح الجامع.

سئل **جعفر بن محمد الصادق** [ت: ١٤٨ هـ]: لم كُره الصيام أيام التشريق؟ فقال: لأن الحجاج في ضيافة الله، ولا يجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه.

❁ **الثانية**: ما قاله **ابن رجب** [ت: ٧٩٥ هـ]: إشارة إلى أن الأكل في أيام الأعياد والشرب إنما يستعان به على ذكر الله تعالى وطاعته.

❁ **الثالثة**: أنها أيام عيد تتحلل فيها من الإحرام، لترتاح فيها بعد تعب وتتمتع بعد حرمان، وتساعدك في ذلك لياليها التي يكتمل فيها ضوء القمر، لتبعث إليك بهوائها اللطيف ونسيمها العليل الذي يزيل عنك كل مشقة وعناء.

وانوِ بذكر الله في هذه الأيام مخالفة أعراف الجاهلية، فقد كان للعرب تقليد آخر في مِنى، وهو عقد مجالس المفاخرة بعد الانتهاء من مناسك الحج.. قال **ابن عباس** ﷺ: «كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول كان أبي يطعم ويحمل الحمالات ويحمل الديات ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فأنزل الله على محمد ﷺ: ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** ﴾ [البقرة: من الآية ٢٠٠] »... فأمرنا الله بذكره والتحدث بنعمه بدلاً من ذلك، وفي الآية كذلك تنبيه واضح بضرورة متابعة العمل والاستمرار في العبادة، وتحذير إلهي مخيف من خطورة النكوص والانتكاس.

والأمر بالمبيت بمنى أمر عجيب غاية العجب.. إذ كيف تُضحّي بصلاة ثلاثة أيام في المسجد الحرام.. الصلاة الواحدة منها بمائة ألف صلاة لتبيت في منى؟!

والجواب والله أعلم: إن الله تعالى أدرى بك منك، وأحرص عليك من نفسك، فشرع لك ذلك حتى تحافظ على حرارة الإيمان وشحنة التقوى التي حصّلتها فلا تتسرب منك بالتنزه في الأسواق ومخالطة الناس... ولذا كان المبيت بمنى هذه الأيام أعظم ثوابًا وأكثر أجرًا من الإقامة بمكة والصلاة بمسجدها الحرام.

إنه كذلك مشاركة إخوانك من سائر البلدان ومن مختلف الأجناس في حضور اجتماعات مصغرة أشبه ما تكون بفرق العمل أو اللجان المنبثقة عن مؤتمر عرفات السنوي الكبير، وذلك بهدف تقوية الصلات وتعميق الروابط ومعرفة الأخبار وتفقد الأحوال وأخيرًا: الخروج بالتوصيات.

يا حسرة النوّام

فرّط أحد السلف في حجته وما قام بحقها، ولم يُفِق من غفلته إلا في منى، فأنشد يقول:

بلغ المُنَى من بات في وادي مِنى
غيري فإنّي ما بلغت مُرادي
وبكيت من ألم الفراق وشِقوتي
فبكى الحجيج بأسره والوادي

فلا تكن أخي المشتاق أخاه في التفريط وصديقه في الغفلة وشريكه في الجرم، وأدرك نفسك اليوم قبل أن يبكي عليك الحجيج غدًا.

طـــواف الـــوداع

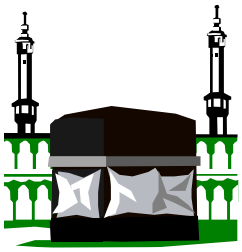

وأما **طواف الوداع**... وما أدراك ما طواف الوداع، إنها ساعة الفراق، ولعل من حكمتها أن من لم يذق مرارة الفراق لم يدرِ ما حلاوة اللقاء... **فسائل نفسك:**

هل سيكون بعدها لقاء جديد أم فراق أبدي؟! لترتجف عندها كل خلية في جسدك وتهتف في ضراعة:

روحي ستُنزع مني ... موتي ببعدك عني
هل لي بعود قريب ... حقق بفضلك ظني

نداء قلبك ودعاء روحك:

لئن أصبحت مرتحلاً بشخصي ... فروحي عندكم أبدًا مقيم

وهي وصية رسول الله ﷺ لنا: «**لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده الطواف بالبيت**»[1]، وكأنه يريد بذلك أن يفجِّر العاطفة في كل قلب لا زال قاسيًا، ويبعث الروح في أي صنم لا زال جامدًا، إنه كذلك إلقاء آخر نظرة على بيت الله الحرام لتبقى صورته ماثلة للعين، وذكراه خالدة في النفس.

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٨٠٥ في صحيح الجامع.

أخي المشتاق... اشحن كل قواك لتوديع بيت الله، فإنها لحظة حاسمة في حجتك، فكن على وجل، وألزم قلبك الخوف من الرد وعدم القبول.

واعلم أنك قد تعرف علامات القبول، فتبدو لك بوجه من الوجوه، فقد تبدو في راحة قلبية وطمأنينة عجيبة، أو في دمعات غزيرة وعبرات متوالية، أو في عبء ثقيل أحسست أخيرًا أنه انزاح عن صدرك، أو في شوق عظيم إلى الطاعات والقربات، أو في كراهية شديدة لذنب كنت تعشقه وتفعله وأنت اليوم تبغضه وتركله.

واستعد لمقابلة ملك كريم مخصَّص لك يبعثه الله إليك في آخر طواف، ليكون منه ما جاء في الحديث:

«وأَما طوافُك بالبيت بعد ذلك، فإِنَّك تطوف ولا ذنب لك، يأتي مَلَكٌ حَتَّى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فِيما يُسْتَقْبل، فقد غُفِر لك ما مضى»[1].

وما أجملها من بشارة كرَّرها رسول الله ليزيد بها فرحة قلبك، وينتزع بها همًا وغمًا غرستها الذنوب على مدار عمرك، فقال رسول الله ﷺ: **«وإذا قضى آخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**[2]

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ١١١٢ في صحيح الترغيب والترهيب.
(٢) (حسن) انظر حديث رقم: ٢٠٩٢ في صحيح الترغيب والترهيب.

هكذا حجوا فأين حجك؟!

كان **أنس بن مالك** رضي الله عنه [ت: ٩٣ هـ] إذا أحرم لم يتكلم في شيء من أمر الدنيا حتى يتحلل من إحرامه.

حج **مسروق بن الأجدع الهمداني** الفقيه العابد صاحب **ابن مسعود** [ت: ٦٢ هـ] وهو من كبار التابعين، فلم ينم إلا ساجدًا على وجهه حتى رجع من الحج.

قال الربيع بن سليمان: حججتُ مع **الشافعي** [ت: ٢٠٤ هـ] فما ارتقى شرَفًا ولا هبط واديًا إلا وهو يبكي.

كان **شريح** [ت: ٧٨ هـ] إذا أحرم كأنه حية صماء.

قال حمزة بن ربيعة: حججنا مع **الأوزاعي** [ت: ١٥٧ هـ] سنة خمسين ومائة، فما رأيته مضطجعًا في ليل ولا نهار قط، كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب.

قال ابن وهب: رأيت **الثوري** [ت: ١٦١ هـ] ساجدًا في الحرم بعد المغرب فما رفع حتى نودي للعشاء.

وقبل أن يدبّ اليأس إلى قلبك من إدراك هؤلاء ويستولي عليك القنوط من تحصيلهم أبعث إليك ببارقة أمل متّقِد وشعلة عزم مُستعِر على لسان **الحارث المحاسبي**: «اجتهد ولا تيأس، ولا تقل عند ذكر الصالحين: لولا ذنوبي لرجوت طريقة الصالحين، فيُفتِّرك ذكر ذنوبك عن العمل، فإن صاحب الحمل الثقيل أولى أن يجتهد في إسقاط ما قد حمل من المُخِف الذي ليس على ظهره شيء».

أطهر ميّت!!

عن **ابن عباس** رضي الله عنه أن رجلا كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقته (كسرت عنقه) وهو محرم فمات، فقال رسول الله ﷺ: «**اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبيه، ولا تمسوه بطيب، ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً**».

ويالها من خاتمة صالحة يتمناها كل مُحرم، ويسعى إليها كل مشتاق، فاعزم صادقًا هذه العزمة، وجدِّد مخلصًا هذه النية، فمن يدري لعلك تدركها كما أدركها **الحافظ البرزالي** [ت: ٧٣٨ هـ] الذي كان كلما قرأ هذا الحديث بكى ورقّ قلبه، فمات مُحرمًا في الثالث من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، ولسان حاله:

روح دعاها للوِصال حبيبها ... فسعت إليه تُطيعه وتُجيبه
يا مُدَّعي صدق المحبة هكذا ... فعل الحبيب إذا دعاه حبيبه

رحلة المشتاق

الحـج و العمرة

رابعا:

في ضيافة الحبيب

في ضيافة الحبيب

زيـارة هي نزهة القلب وفرحة الفؤاد وفسحة الروح..
هي متعة الخاطر وفرصة الحياة ولذة الهناء..

زيـــارة المدينـــة

هنا تنهمر الدموع ويشتد النحيب وينتفض الوجدان، فالكل في شوق جارف وحنين عارم وشغف متحفز لزيارة رائد الإنسانية ومعلم البشرية وباعث المحبة.

وأما زيـارة المدينـة... فتذكـر وأنت متوجه إليها فضائلها التي تدهش العقل وتبعث الشوق وتسحر الفؤاد. قال رسـول الله ﷺ:

«إن الإيمـان ليـأرز إلى المدينـة كما تأرز الحية إلى جحرها»[1].

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٥٨٩ في صحيح الجامع.

فالمدينة بمثابة جحر الإيمان ومستقره، وكلما ضعف أو تعب لجأ إليها، فيتجدد فيها كما يتجدد نشاط الحية إذا دخلت جحرها بعد تعب البحث خارجه.

قال رسول الله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام**»(١)، قال **الإمام النووي**: وهذا التفضيل يعمّ الفرض والنفل كمكة. وقال ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»(٢).

وقال الرسول ﷺ: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها**»(٣)، لذا كان الصحابة يكرهون أن يموتوا بغيرها، ويسألون اللهّ عز وجل أن يتوفاهم فيها...

ففي صحيح البخاري عن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنه كان يقول: «**اللَّهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك**»، وفي رواية: «**ارزقني شهادة في سبيلك وموتًا في حرم نبيك**»، وقد استجاب

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٨٣٩ في صحيح الجامع.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٤٠٢٩ في صحيح الجامع.
(٣) (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٠١٥ في صحيح الجامع.

اللهّ دعاء عمر ﷺ، فاستشهد في صلاة الفجر في مسجد النبي ﷺ، فما أحلاها من شهادة وما أشرفه من وسام.

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها من هو خير منه.. ألا إن المدينة كالكير يخرج الخبث**»(١)؛ حتى أنّ الخليفة الراشد **عمر بن عبد العزيز** لما خرج من المدينة التفت إليها وبكى، ثم قال لغلامه: «يا مزاحم أخشى أن نكون ممن نفت المدينة؟!».

وقال ﷺ: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء**»(٢). وقال الرسول الكريم ﷺ: «**من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي**»(٣)، وهذا لم يرد نظيره لبقعة سواها، وهو مما تمسك به من فضلها على مكة. وقال ﷺ: «**من أخاف أهل المدينة أخافه الله**»(٤).

وقد روى هذا الحديث **جابر بن عبد الله** ﷺ، وسببه أن أميرًا ظالمًا من أمراء الفتنة قدم المدينة وكان بصر جابر قد ذهب، فقيل لجابر: لو تنحيت عنه، فخرج يمشي غير مكترث قائلاً: تعس من أخاف رسول اللهّ ﷺ، فقال ابناه: كيف وقد مات؟! قال: سمعت رسول اللهّ ﷺ يقول.. فذكر الحديث.

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٨٠٠٤ في صحيح الجامع.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٧٧٦ في صحيح الجامع.
(٣) (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٩٧٨ في صحيح الجامع.
(٤) (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٩٧٧ في صحيح الجامع.

ويكفي اشتمالها على بقعة من خير بقاع الأرض، وهي الموضع الذي ضم أعضاء النبي ﷺ.. قال **القاضي عياض** [ت: ٥٤٤ هـ]: ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض.

ألا قل لزوار دار الحبيب ... هنيئًا لكم في جنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضا ... فإنا عطاش وأنتم ورود

محبة عراقية

ذكر **الحافظ ابن كثير** [ت: ٧٧٤ هـ] أنّ وفدًا من العراقيِّين حَجُّوا سنة ٣٩٤ هـ وكانوا يخافون قطّاعَ الطريق، ومعهما قارئان مِن أحسنِ الناسِ صوتًا، وكان أميرُ العراق قد عزم على العَوْدِ سريعًا إلى بغداد من طريقِهم التي جاءوا منها، وأن لا يسيروا إلى المدينة النبويّة؛ خوفًا من الأعراب، فشقّ ذلك على الناس، فوقف هذان الرجلان القارئان على جادّة الطريق التي منها يُرجع إلى المدينة النبويّة، وقرءا: ﴿ **مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ** ﴾ [التوبة: من الآية ١٢٠]، فضجّ الناسُ بالبكاء، وأمالت النوقُ أعناقها نحوهما؛ فمال الناسُ بأجمعِهم والأمير إلى المدينة النبويّة، فزارُوا وعادُوا سالمين إلى بلادهم.

في طرقات المدينة

مثّل لنفسك مواقع أقدام رسول الله ﷺ عند سيرك، وتذكر مشيه وسعيه في طرقها، **وتأمل** كيف أعلى الله قدره ورفع ذكره حتى قرنه بذكر نفسه، وأحبط عمل من رفع صوته فوق صوته، **وتأسّف** على ما فاتك من صحبته، وضاع عليك من رؤيته، ولا تفوّت على نفسك هذه الفرصة في الآخرة بسوء عملك، فربما حيل بينك وبينه. قال رسول الله ﷺ: «**إنه يُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: كنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**»(١).

صلّ في الجنة

قال رسول الله ﷺ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»(٢).

قال بعض العلماء إن هذا الموضع بعينه الذي بين القبر الشريف والمنبر ينقل إلى الجنة، وقيل إن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة، **فاحرص** في هذا الوقت المبارك والمكان المبارك على أسخن العبرات وأخشع الصلوات وأطول السجدات.

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٨٧٠ في صحيح الجامع.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٥٨٦ في صحيح الجامع.

وتخيّـل نفسـك ورسـول الله ﷺ يرتقي المنبر أمـام عينيـك وينظـر إليك ثم يخطب فيك، نعم يخطب فيك لتسمع حديثه مباشرة منه لأول مرة، لا ينقله إليك أحد، فتتربى تربيـة الصـحابة، وترقى رقـيهم، ففـي هذه الروضة الجليلة تخرج الجيـل الفريـد الذي غيَّر مجرى الإنسانيـة.

وتوهـم نفسـك وأنت تسمع أحاديث نبيك ﷺ أنك تسمعها لأول مرة، لتنزل عليك بلسمًا يشفي جروح الماضي ويمسح ذنـوب الحـاضر ويأخـذ بيديـك إلى الهدايـة في المستقبـل.

سجـدة فـي الروضـة

هذه نوايا تنعش القلب وهو ساجد في الروضة الشريفـة، فتحييـه وتبـث الـروح فيـه، وترفعـه درجـات فـوق درجـات، نحـو معـارج ليـس لهـا سمـــاء:

❁ **سجـدة الوقايـة والشفاعـــة**: أنا الآن أضع جبهتي على موضع جبهة النبي ﷺ ولعلي أسجد تمامًا حيث سجـد؛ أنـوي بهـذا أن لا يعـذبني الله لأكون كهذا الصحابي الذي مرَّغ خَدَّيْـه عـلى بطـن سـول الله ﷺ قائلاً: أردتُ أن يَمَسَّ جلدي جلدَك حتى لا تمسني النـار، أو كالذي سأل رسول الله ﷺ أن يكسوه ثوبه رجـاء أن يكـون كفنـه بعـد موتـه فيقيـه الله العـذاب، فكـان كفنـه!!.

❁ **سجـــــدة الحـــــب**: أسجد ولا يفصلني عن حبيبي.. بل أحب الخلق إلي قلبي سوى خطوات قلائل، وكيف لا أحبه وهو ﷺ سبب خروجي من النار واستنقاذي من الضلال، لذا فالقلب يدقُّ سريعًا وأنفاسي تتلاحق، ودموع الشوق تجري، وإحساس القرب يجعلني من الحُب أذوي.

❁ **سجـــــدة السفـــــر**: أسجد اليوم في رقعة مباركة ينطلق منها القلب في سفرة يشعر فيها براحة عجيبة، فتتجوَّل روحه حول العرش، وترحل عن طين الأرض محلِّقة إلى جنة الخلد روحًا، استعدادا للسفر إليها جسدًا غدًا أو بعد غد عقب رحيل مرتقب عبر بوابة الموت!!

❁ **سجـــــدة العهـــــد**: أسجد اليوم وأمد يدي لتصافح كف رسولي، إن فاتني مصافحة الكف الشريف في بيعة العقبة أو بيعة الرضوان، فقد جاء اليوم الذي أحوز فيه الشرف وأنال الفضل الذي فاتني، في بيعة ماضية باقية على نصرة دينه ونشر هدايته، لأكون جنديًا في كتيبة الدعوة المباركة ووريثًا نجيبًا لنسب النبوة العريق، وسأتذكر هذه السجدة كلما وهن عزمي وغزا النسيان عقلي، ليظل أثرها باقيًا مدى الدهر، ويبقى الوفاء شعار كل تقي وسمت كل ذي مروءة.

❁ **سجـــــدة الأنـــــس**: في سجدتي عند اسطوانات الروضة.. أعيش مع رسول الله ﷺ لحظة بلحظة، فهنا أسمع ترتيل آياته وعذب

مناجاته بجوار (**اسطوانة عائشة**) التي اتخذها النبي ﷺ مصلى بضعة عشر يومًا بعد تحويل القبلة قبل أن يتحول منها إلى مصلاه...

وهنا أشعر بشفقته وحرصه على أمته عند (**اسطوانة الوفود**) التي كان يجلس عندها يستقبل وفود العرب...

وهنا حُرقة الندم ولوعة الألم عند (**اسطوانة التوبة**) التي ربط فيها **أبو لبابة الأنصاري** نفسه لذنب أذنبه حتى تاب الله عليه...

وهنا تسري في قلبي روح الإيثار وروعة التضحية والفداء حول (**اسطوانة الحرس**) التي كان الصحابة يجلسون عندها لحراسة النبي ﷺ...

وهنا أشعر بأزيز صدره ﷺ يتردَّد من البكاء بجوار (**اسطوانة التهجد**) حيث كان يتهجد.

❁ **سجدة الإيمان**: أسجد وآوي إلى الروضة الشريفة حيث ركن الإيمان المتين ونبع الهداية الأصيل، وإذا كان الإيمان يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها، فكيف بمسجد رسول الله ﷺ! وكيف بأشرف بقعة فيه! فلأفتح قلبي على مصراعيه لاستقبال النور الساطع، ولأهيِّئ نفسي لأغتسل من الغفلات والشهوات والأهواء الزوابع، واثقًا من إجابة دعاءٍ لهج به اللسان في أشرف المواضع.

❁ **سجـــــدة الجوائـــز**: أسجد أقرب ما يكون من موضع تنزل الآيات ومهبط الوحي ومنبع أحاديث رسول الله ﷺ ومزار روح القدس جبريل عليه السلام، فأكون اليوم كالمغتسل في مصب النهر، أو الواقف في الصف الأول مستعدًا لاستلام أغلى الجوائز واقتناص أنفع الفوائد في ديني ودنياي، فهنيئًا لي هذه السجدة المباركة.

ذكـــاء البخـــاري

وكان من ذكاء **الإمام البخاري** ونفاذ بصيرته أن كتب صحيحه في الروضة المباركة.

ولذا علّل **الحافظ ابن حجر** [ت: ٩١١ هـ] تفضيل أحاديث البخاري على غيرها ببركة هذا المكان الشريف.. فقال:

«وإنما بلغت هذه الدرجة وفازت بهذه الحظوة لسببٍ عظيمٍ أوجبَ عِظَمَها وهو ما رواه أبو أحمد بن عدي عن عبد القدوس بن همام قال: شهدتُ عدّةَ مشايخَ يقولون: حوّلَ البخاريُّ تراجمه - يعني بيَّضَها - بين قبرِ النبيِّ ﷺ ومنبره، وكان يصلِّي لكلِّ ترجمة ركعتين».

اللقاء المرتقب

وأما زيارة رسول الله ﷺ... فالقلوب تشدو والأرواح تهفو والعيون تتلهف على مشاهدة آثار الحبيب.. إنه اللقاء الذي يفجّر في القلب أروع معاني الحب وأعظم درجات الفرحة التي لا تدانيها فرحة أي محب آخر بلقاء حبيبه بعد طول فراق وشدة اشتياق، فقف بين يديه، وسلِّم عليه واعلم أنه يرد عليك السلام.. قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يُسلم علي، إلا ردّ الله علي روحي حتى أرد عليه السلام**»[1]، وهذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقًا إلى لقائه، وقد قال ﷺ: «**من ذُكرتُ عنده فليصلِّ علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرًا**»[2]، وهذا جزاء الصلاة عليه باللسان فكيف بالحضور لزيارته بالبدن؟!

ابسط قلبك وبايعه

تخيل وأنت واقف أمام قبره أنه يمد يده الشريفة نحوك ليبايعك، فاستشعر جلال الموقف وهيبته، ثم بايعه بقلبك إن فاتتك مصافحته بيدك، فإن بيعة القلب أهم، وهي محل نظر الله، وجدد له العهد على أن تظل

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ٥٦٧٩ في صحيح الجامع.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٢٤٦ في صحيح الجامع.

وفيًا لرسالته، ماضيًا في طريقه، مستمسكًا بسنته وإن تخلى عنها الجميع، قابضًا علي دينك ولو كان جمرًا، حاملاً لواء الدعوة إليه أعظِم به أجرًا، باذلاً روحك فداه ترجو له نصرًا إلى أن تلقاه على الحوض فتتعانقان!!

ليس الحب كلامًا

علامات محبتك للنبي ﷺ:

(١) أن يكون أعظم حب في حياتك:

عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال له عمر: فإنه الآن... فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**».

أخي الحبيب... ما أحوجنا إلى لحظة صدق كتلك التي عاشها عمر رضي الله عنه، فنعقد فيها مع أنفسنا جلسة مصارحة نجيب فيها على هذا السؤال:

(**أيهما أحب إلينا: رسول الله أم نفوسنا؟**).. لنتحرك في ضوء الإجابة.. إما شكرًا وامتنانًا وإما توبة وبكاءً.

لماذا أقسم؟ ... لقد أقسم ﷺ وهو الصادق في كل ما يقوله فلا حاجة إلى قسم، فكيف إن أقسم؟ فالقسم هنا تأكيد فوق تأكيد وجزم وتشديد.

هل نحرك دون نحره؟

وإذا كانت النفس أغلى ما يمكن أن يضحي به الإنسان، فإن محبة الرسول ﷺ تقتضي تقديم النفس رخيصة في سبيله كما فعل **أبو طلحة** في غزوة أحد، وأبو طلحة هو **زيد بن سهل الأسود الأنصاري** الذي شهد له النبي ﷺ أن صوته في الجيش خير من ألف رجل، صوته فحسب خير من ألف، فكيف به كله؟! وحين انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد جثا بين يدي النبي ﷺ ونثر كنانته، وقدَّم نحره أمام نحر النبي ﷺ قائلاً: «**لا يصيبك سهم من سهام القوم.. نحري دون نحرك**». دعاءً منه بأن يجعل الله نحره أقرب إلى سهام الكفار من نحر رسول الله ﷺ ليصاب بدلاً منه، وكأنه يقول:

قد صيغ قلبي على مقدار حبهم

فما لحب سواه فيه متسع

(٢) أن تخشع لسماع ذكره:

كان **جعفر بن محمد** [ت: ١٤٨ هـ] كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذُكر عنده النبي ﷺ اصفرّ لونه، وما كان يُحدِّث عن رسول الله ﷺ إلا وهو على طهارة.. وذكر مالك عن **محمد بن المنكدر** [ت: ١٣٠ هـ] أنه قال: «لا نكاد نسأله عن حديث أبدًا إلا بكى حتى نرحمه».

وقال **عمرو بن ميمون** [ت: ٧٥ هـ]: «اختلفتُ إلى **ابن مسعود** رضي الله عنه سنة فما سمعته يقول: (قال رسول الله ﷺ)، إلا أنه حدّث يومًا فجرى على لسانه: (قال رسول الله ﷺ)، ثم علاه كرب، حتى رأيت العرق يتحدّر من جبهته، ثم قال: هكذا إن شاء الله، أو فوق ذا، أو دون ذا، ثم انتفخت أوداجه، وتربّد وجهه، وتغرغرت عيناه»، لسان حاله:

شوقي إليك مجاوزٌ وصفي ... وُدِّي وحُبي دون ما أُخفي
ما دار ذكرٌ منك في خلدي ... إلا ملأتُ بأدمعي طرفي

وهاهو **صفوان بن سليم** [ت: ١٣٢ هـ] الذي قال عنه **الإمام أحمد**: يُستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره، كان إذا ذُكر النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه. لسان حاله:

خيالك في عيني وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب

وكـان **مـالك بـن أنـس** [ت: ١٧٩ هـ] أشـد تعظيمـًا لحديـث رسـول الله ﷺ فكـان إذا جلـس للفقـه جلـس كيـف كـان، وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيَّـب ولبـس ثيابـًا جددًا وتعمّـم وقعد عـلى منصته بخشـوع وخضـوع ووقـار، ويُبخِّـر المجلس مـن أولـه إلى فراغـه تعظيمـًا للحديـث.

وكان مالك رحمه الله قـد قال في شـأن **أيوب السختياني** [ت: ١٣١ هـ]: «حـجّ حجّـتين، فكنـتُ أرمقـه ولا أسمـع منـه، غـير أنّـه إذا ذكـر النـبيَّ ﷺ بكى حتى أرحمـه... فلمـا رأيتُ منـه ما رأيـتُ وإجلالَـه النـبي ﷺ كتبـتُ عنـه! ».

هؤلاء أناس رسول الله عندهم حاضر لا يغيـب، في القلـب داره وفي الفـؤاد قـراره، يمـر عليهم ذكـر اسـمه فتهـب ريـاح الشـوق عليهم مـن كـل جانـب لتـؤذن باتبـاع يـورث في الجنـة اللقـاء، وتُعلن عن اقتداء يمهد لشربـة مباركـة مـن الحـوض.

ومـن عجـبٍ أنـي أحـنُّ إليهـمُ وأسأل عنهـم من لقيت وهم معي
وتطلبهـم عيـني وهـم في سوادهـا ويشتاقهـم قلبي وهـم بين أضلعـي

(٣) سرعة الامتثال والتلبية:

عن **البراء** ﷺ قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحب أن يوجه للكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا** ﴾ [البقرة: من الآية ١٤٤]، فوُجِّه نحو الكعبة وصلى معه رجل العصر، ثم خرج فمر على قوم من الأنصار يصلون فقال: هو يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ، وأنه قد وُجِّه نحو الكعبة، فانحرفوا وهم ركوع.

سبحان الله.. ما أسرع الاستجابة وأعظم المحبة...

لم ينتظروا حتى يرفعوا رؤوسهم من الركوع بل انحرفوا على الفور

أخي.. أختي..

الدرس هنا: لا تأجيل ولا تأخير إذا قضى الله ورسوله أمرًا...

← **إذا علمت** يا أختاه أن الحجاب فريضة فرضها الله على نساء المسلمين.. فلا يرين أحد من غير محارمك ما أمرك الله بستره بعد اليوم.

← **إذا علمت** حرمة الربا.. فلا تبيتن على فراشك الليلة قبل أن تطهر مالك.

← **إذا علمت** أن عقوق الوالدين يحول بينك وبين دخول الجنة... فلا تكمل قراءتك حتى تسترضيهما عنك وتطلب الصفح منهما.

← **إذا علمت** أن رسول الله ﷺ هَمّ بإقامة الصلاة والذهاب إلى بيوت أناس لا يشهدون الجماعة فيحرقها عليهم... فكيف يشتكي مسجد الحي من غياب أحد إلا وهو ميّت؟!

التسويف اللغم المؤقت

ما التسويف سوى لغم مؤقت يبغي به الشيطان تحويل إيمانك إلى أشلاء فهل ستقع في الفخ؟ أم ستهدم الصنم؟ فإن صنم كل منا هواه، فمن خالف هواه فقد هدم الصنم وقبض في الجنة الثمن.

(٤) تقديم ما يهوى على ما تهوى:

بعد شهرين من حصار حصون خيبر، ونفاد الطعام والزاد، وضراوة الجوع، وفتك الحاجة، لجأ الصحابة إلى ذبح الحمر الأهلية لأكلها، وبينما القدور تفور باللحم جاء أمر رسول الله ﷺ على لسان مناد بعثه ﷺ بهذا النداء: «**إن الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية**»، فأُكفأت القدور وهي تفور باللحم.

عجبًا... لماذا ترك رسول الله ﷺ المسلمين يذبحون الحمر مضيعين الاستفادة منها بركوبها إن كان أكلها قد حُرِّم؟!

والجواب: ليكون اختبار المحبة أشد وفضح المدعين أوضح، ولم يكن بين الصحابة مدّعون بل محبون صادقون ومؤمنون مخلصون، فلم تنقل كتب السيرة مخالفة واحد من الصحابة، بل أمسوا جميعًا يتضورون جوعًا واللحم أمامهم ملقى على الأرض!!

أخـــي... ضع نفسك مكانهم، واسأل نفسك عن حالك لو شهدت هذا الموقف لتقيس درجة محبتك.. وتحدد مقدار إيمانك.

اختبارات محبـــــة

قد ترجـع إلى البيت ليلا متعبًا منهك القوى تحلم باللحظة التي يمس فيها جنبك الفراش من شدة الجهد.. ثم تسمع المؤذن يؤذن لصلاة الفجر.. **فهل ستنجح؟!**

قد تصبـح في مزاولة الدنيا كعاصر الحجر يريد أن يشرب منه.. فتُسد أمامك أبواب الحلال، ويغريك الشيطان بولوج أبواب الحرام، والبيت محتاج والنفقات مرهقة، والتبعات ثقيلة، وبإشارة واحدة منك يسكن الحرام جيبك ويدخل بيتك.. **فهل ستنجح؟!**

قد تدخـل إلى امتحان وتتعسر في إجابة سؤال.. فتجد من يفتح لك ورقة الإجابة، وغاب عنك الرقيب واحتجت للنجاح.. **فهل ستنجح؟!**

قد يجهـل عليك جاهل، أو يحقد عليك سفيه، ويبلغ الغضب منك ذروته، فتهم أن ترد الإساءة بأختها ثأرًا لنفسك وانتصارًا لهواك.. **فهل ستنجح؟!**

عن **أنس** ﷺ قال: كنت ساقي القوم في منزل أبى طلحة، فأمر رسول الله ﷺ مناديًا ينادي: «**ألا إن الخمر قد حُرِّمت**»، فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فأهرقتها، فجرت في سكك المدينة.

قال **ابن حجر**: «وفيه إشارة إلى توارد من كانت عنده من المسلمين على إراقتها حتى جرت في الأزقة من كثرتها».

لم يتذرعوا بأنهم أدمنوا الخمر فسرت في عروقهم، أو أن الإقلاع عنها صعب شديد.. يحتاج إلى وقت، وإنما لبوا مسرعين واستجابوا فرحين، مع أنهم كانوا قومًا يتمنى الرجل منهم أن يدفن تحت شجرة عنب من شدة عشقه للخمر منشدًا:

إذا متُّ فادفني إلى أصل كرمة ... تروى عظامي بعد موتى عروقها
ولا تدفني بالفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

أعذار يصنعها الشيطان

يا من يتذرع...

- بالنوم الثقيل ليتخلف عن صلاة الفجر.
- وبعموم البلوى ليأكل الربا.
- وبكثرة العيال وضيق ذات اليد ليقبل الرشوة.
- وبتعثر الزواج وعدم استطاعة الباءة ليطلق بصره.

هلا اتخذت أصحاب النبي ﷺ قدوة وأسوة... وأطعت أمر رسول الله ﷺ دون تلكؤ أو تردد.

سمعنا وأطعنا

عن **زيد بن خالد الجهني** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»، فكان زيد يروح إلى المسجد وسواكه على أذنه بموضع قلم الكاتب ما تقام الصلاة إلا استاك قبل أن يصلي.

عن نافع عن **عبد الله بن عمر** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو تركنا هذا الباب للنساء**». قال نافع: فلم يدخل منه «عبد الله ابن عمر» حتى مات!!

عن **أبي أمامة** ﷺ قال: قلت: يا رسول الله مُرني بعمل. قال ﷺ: «**عليك بالصوم فإنه لا مثل له**»، فكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يُلقون إلا صياماً.

كان **أبو عبد الرحمن السلمي** مُقرئ الكوفة وعلمها، قرأ القرآن وجوّده ومَهَر فيه، وكان يُقرئ الناس القرآن الكريم في المسجد ٤٠ سنة لأنه هو الذي روى عن عثمان بن عفان ﷺ حديث النبي ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»، فقال عندها: «فذلك الذي أقعدني هذا المقعد».

(٥) نشر دينه والدفاع عن سنته:

واسمعوا إلى بطل من أبطال الصحابة وهو **عبادة بن الصامت** ﷺ وهو يخاطب المقوقس حاكم مصر وقد حاصره:

«وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساءً أن يرزقه الشهادة، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منا همّ فيما خلفه، وقد استودع كل منا ربه أهله وولده، وإنما همنا ما أمامنا».

هؤلاء أناس صدق فيهم قول مصطفى صادق الرافعى:

كانوا أناسًا إن عبتهم بشيء لم تعبهم إلا أنهم دون الملائكة!!

رحلة المشتاق

الحـج و العمرة

خامسا:

اقطف الثمرات

اقطف الثمرات

تربيـــة أخلاقيـــة

تربيـة أخلاقيـة عظيمـة... قـال الله تعـالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٧].

ومـن حسـن الخلـق أن تتمثّـل صـفات الحـاج كـما ذكـر بعضهـا **أبـو حامـد الغـزالي** [ت: ٥٠٥ هـ] في قولـــه: «فلا ينبغي أن يكون كثير الاعـتراض على رفيقه وعـلى غـيره مـن أصـحابه، بـل يلـين جانبـه ويخفـض جناحـه للسائريـن إلى بيـت الله عـز وجـل،

وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى».. ومكافأة ذلك عظيمة عظيمة سبق وأن أعلنها النبي ﷺ في قوله: «**من كان سهلاً هيّنًا ليّنًا حرّمه الله على النار**»(١).

ومن حسن الخلق أن يكون الصبر شعارك، فأنت في عبادة عظيمة اجتمعت فيها مشقة السفر، وضيق المركب، وكثرة الزحام، وطول الطريق، فلا تدافع من حولك، وعليك بالرفق والسكينة تقتدي في ذلك بنبيك ﷺ الذي قال عنه **قدامة بن عبد الله العامري** رضي الله عنه: «رأيتُ رسول الله ﷺ رمى الجمرة يوم النحر على ناقة له صهباء؛ لا ضرب؛ ولا طرد؛ ولا إليك إليك»(٢).

ومن حسن الخلق أن لا تسوّد صحيفتك بالمنِّ والأذى، فلا تتأفف ولا تتذمر ولا تردد أقوال العوام: «تعبنا» أو «الزحام كثير» أو «الحر شديد» وغير ذلك من عبارات التشكّي والتبرّم خوفًا من ضياع أجرك.

ومن حسن الخلق أن تترك الجدال ولو كنت محقًا، لقوله ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا**»(٣)، وتأمل حال الصحابي الجليل **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنه الذي كان له فسطاطان أحدهما في الحِلّ، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يصلي صلى في الفسطاط

(١) (حسن) انظر حديث رقم: ٩٣٨ في السلسلة الصحيحة.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٤٦١ في صحيح ابن ماجة.
(٣) (حسن) انظر حديث رقم: ١٤٦٤ في صحيح الجامع.

الـذي في الحـرم، وإذا أراد أن يعـاتب أهلـه عـاتبهم في الـذي في الحـل، فقيـل له في ذلك فقـال: كنا نُحدّث أن من الإلحاد فيه أن يقـول الرجـل: لا والله، وبلى والله.

سنـــــة مهجورة

إذا حـدث أن جادلـت أحـدًا أو خاصـمته في الحج فما المخرج إلى محو هذه الزلة وما الطريق إلى تكفيرهـا؟! ... لم يتركـك رسـول الله ﷺ في الميـدان وحـدك تجيـب عـلى هـذا السـؤال، بل أعانك وقف إلى جوارك وأمدك بـالجواب فقـال: «**تكفير كل لِحاء ركعتـان**»(١).

واللحـاء: هـو المخاصـمة والنـزاع، وكفارتـه: ركعتـان تـركعهما بعـد الوضوء، فإن ذلك يمحـو الغِلَّ والعنـاد، ويمسـح الـذنب عـن الفـؤاد، ويـورث الحلـم والرشـاد.

توحيـــــد الأمـــــة

كأن المقصود من الحج هو اجتماع ممثلي الأمة من كل جنس ولـون، ومن كل حدب وصـوب، ليشـهدوا هـذا المـؤتمر السـنوي العـالمي الـذي يناقش هموم الأمة، ويسعى في حلهـا.

(١) (حسـن) انظر حديث رقم: ٢٩٨٦ في صحيـح الجامـع.

وعندما نتدبر حديث: «**الحج عرفة**»[1]، نستشعر أن جمع الأمة اليوم في مكان واحد من الأهمية العظمى بحيث إذا تخلف عنه أحد بطل حجه، ومن حكمة الله البالغة ورحمته السابغة أن جعل الحج فريضة لا تخضع لاختيار مسلم أو منع ظالم، حتى يتكرر سنويًا لوفود جديدة تأتي من كل بقاع الأرض، لتتوحّد في هذه البقعة المقدّسة وتنجح في ما عجز عنه زعماؤها من توحيدها في أي مكان آخر.

التضحية في سبيل الدين

أخي الحاج.. ضحيت بمالك لتحج فأنفقت الأموال الطائلة، وضحيت بوقتك فتفرغت من أشغالك أيامًا عديدة لتنقطع لأداء المناسك، وضحيت بصِلاتك بأهلك ووطنك ففارقتهم استجابة لأمر ربك، وضحيت براحتك فكابدت المشاق العظام أثناء رحلتك بين طواف وسعي ورمي، ووقوف على الجبال طوال النهار، ومبيت في الصحراء طوال الليل تفترش الأرض وتلتحف السماء، وكل هذه التضحيات بذرت في قلبك حب التضحية لدينك.. فهل ستستمر التضحيات؟!

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٣١٧٢ في صحيح الجامع.

الاستسلام الكامل والعبودية المطلقة

قال **أبو حامد الغزالي** [ت: ٥٠٥ هـ] واصفًا بعض أسرار الحج: «ولذلك وظّف عليهم فيها أعمالاً لا تأنس بها النفوس، ولا تهتدي إلى معانيها العقول، كرمي الجمار بالأحجار، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية، فلا حظ للنفوس ولا أنس فيها، ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون الإقدام عليها إلا امتثالاً للأمر، وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط».

فالحاج يستسلم لأمر الله موقنًا أن الخير كل الخير فيه وإن لم يعلمه، وينتهي عن ما نهى الله عنه وإن لم يدرك الحكمة منه، فلا يعود يجادل في أمر الله، ولا يتردد في تنفيذ تعاليمه، ولا يتوانى عن اجتناب نواهيه.

والحج تدريب عملي على هذا المعنى: البس هذا اللباس.. وامتنع عن أي لباس آخر.. ابتداء من هنا لا تقربْ زوجتك.. من هنا لا تقص أظفارك أو شعرك.. لا تقطع شجرة ولا تصطد طيرًا.. امش هنا.. هرول هناك.. طُفْ في هذا الاتجاه.. اشرب من هذا الماء.. تضلّع منه ولو لم تكن عطشانًا.. قبِّل هذا الحجر.. أمسك هذا الحجر.. ارجم هذا الحجر.. نم هنا.. صلِّ هنا قصرًا وجمعًا.. فرِّغ يوم عرفة لكل ألوان

العبادات.. اجمع الظهر والعصر تقديمًا.. لا تصم هذا اليوم.. أخِّر المغرب مع العشاء... افعل كل هذا معلنا بلسان حالك أنك ستسير باقي أيام حياتك على أنوار قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

الجوهـــر لا المظهـــر

قال الله عز وجل تعقيبًا على آيات النحر: ﴿ **لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ** ﴾ [الحج: من الآية ٣٧].

إن هذه اللحوم والدماء لن ينال الله عز وجل منها خيرًا، فهو سبحانه أغنى الأغنياء عن خلقه، وأنَّى له سبحانه وتعالى أن يحتاج أو يفتقر.. حاشاه.

وإنك حين تتأمل واقع المسلمين اليوم ترى أن المظاهر صارت هي الغالبة، فترى من الناس من يعتني بأداء الركوع والسجود لكنه عن جوهر الصلاة غائب، تراه يصوم وهو مرائي ، ويتصدق وقد جمع ماله من الحرام، ويذكر الله لكن بقلب غافل وجسد على المعاصي مجترئ.

فيأتي الحج على هذا الواقع المرير فيزيله، ويمسح صورة ذي الوجهين، ويغرس في النفس طهارة الظاهر والباطن وعبودية القلب والجسد.

الفخـــــر الحقيقـــــي

إن الحاج الذي يجهر بالتلبية ويفتخر بها ينبغي أن يفخر بانتمائه لدينه على الدوام، فيعلنها صريحة واضحة أمام الناس: أنا مسلم أعبد الله عز وجل وأدعو إليه، أنا مسلم.. أفعل ما أمر الله به وأجتنب ما نهى عنه، أنا مسلم.. لا أجبن أو أنزوي ولا أستحي أو أتوارى، بل أبزغ بزوغ الشمس على الظلام فأقشعه، وأطلع طلوع القمر وسط الليل فأبدده، أنا مسلم.. قدوتي محمد لا أبو لهب، نشيدي مصحفي ونشيد غيري من طرب، وليلي سجدة أو ركعة لا شهوة أو غفلة تقضي من الله الغضب.

وهذا الفخر بالدين معناه التحلل مما سواه من الفخر بالنسب أو الجاه أو المال أو الولد، والفخر بالدين يحبه الله ويكره ما عداه، ولذا لم يجعله قاصرًا على شريعتنا فحسب بل وفي شرائع من قبلنا. قال رسول الله ﷺ:

«انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدّ تسعة، فمن أنت لا أم لك؟! قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن قل لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار، فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة، فأنت ثالثهما في الجنة»[1].

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٢٧٠ في السلسلة الصحيحة.

رب الشهرين واحد

يلتزم المُحرِم بالامتناع التام عن محظورات الإحرام، فيتجرد من المخيط، ويترك الطيب، ويمتنع عن حلق شعره، ويتخلى عن الرفث ومقدمات النكاح، ويستجيب لذلك كله دون تردد، ولا تحدثه نفسه أن يتجاوز أو يخالف.

مدرسة الحج

إنها مدرسة الحج تُربِّي كل حاج كذلك على تحمل تبعات خطئه وعواقب تقصيره، فتوجب الفدية على من ارتكب محظورًا من محظورات الإحرام، لتغرس في قلب كل محرم الشعور بالمسؤولية وضرورة تحملها في الحج وبعد الحج، ليتخرّج من هذه المدرسة وبين يديه شهادة نضجه وكماله واستوائه ورشاده.

وعجيبٌ هو أمر بعض إخواننا الحجاج!! فالذي حرم على المحرم الطيب هو الذي حرّم عليه أكل الربا، والذي حرّم الرفث ومقدمات الجماع هو الذي حرّم النظرة الحرام ، والذي نهاه عن لبس المخيط هو الذي نهاه عن لبس الذهب والحرير، فما بال البعض يطيعه هنا ويعصيه هناك!! ويذكره الآن وينساه سائر أيام حياته!!

الدوام علامة القبول

قال الله تعالى: ﴿ **ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ** ﴾ [سبأ: من الآية ١٣]. قال **ابن رجب** [ت: ٧٩٥ هـ]: «لما قيل لهم هذا، لم تأت عليهم ساعة إلا وفيهم مصلّ، وكان النبي ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه قائلاً: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»، وكان بعض السلف إذا وُفِّق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهارها صائمًا، ويجعل صيامه شكرًا لله للتوفيق للقيام».

فهل فهمت أخي الحبيب ما أراده منك ابن رجب؟! يريدك أن تشكر، وشكرك بأن تستمر في طاعتك وعبادتك بعد حجك لا تنقطع، وهذا الشكر العملي هو مفتاح التوفيق للمزيد، ونسيانه سبب المنع بعد الهبات والسلب بعد العطاء، وهو ما سبق وحذّرك منه بشدة **ابن حزم** فقال: «**إهمال ساعة يفسد رياضة سنة**».

نشيد الرجوع

كان دعاؤه ﷺ إذا رجع من غزو أو حج أو عمرة: «**آيبون تائبون عابدون ساجدون، لربنا حامدون**»[1].

(**آيبون**) لكنه ليس رجوع الجسد إلى الوطن بل رجوع القلب إلى السكن، في رحاب الله وعلى هَدْي مصطفاه، وعنوان رجوعنا:

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٤٧٦٩ في صحيح الجامع، وحديث رقم: ٨٥١ في اللؤلؤ والمرجان.

(**تائبـون**)، وفي كـل حركاتنـا وسـكَناتنا (**عابـدون**)، ودليـل صـدقنا: (**ساجـدون**)، ونحـن في كـل ذلـك نقِـرُّ ونعـترف بأنـه لـيس لنـا مـن الفضـل شـيء، بـل الفضـل كلـه لله فتهتـف قلوبنـا قبـل ألسنتنـا: (**لربنـا حامـدون**).

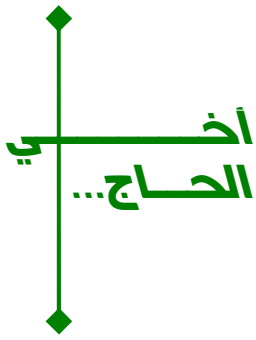

أكثـر مـن ترديـد هـذه الكلـمات في طريـق رجوعـك، وأطلـق بهـا لسـانك طـويلاً طـويلاً، لتملأ بها قلبك، وتذكّر بها نفسـك، وتجـدّد بهـا عهـدك، وتُسـعِد بهـا ربـك، وتجعـل بهـا أنـف شيطانـك في الـتراب.

ارجـع أكثـر تواضعـاً

كان من هديه ﷺ أنه «**كان إذا قفل من غـزو أو حـج أو عمـرة يكـبر على كل شَرَف من الأرض**»[1].

قال **الحافظ العراقي** [ت: ٨٠٦ هـ]: «مناسبة التكبير عـلى المرتفـع أن الاستعلاء محبوب للـنفس وفيـه ظهـور وغلبـة، فينبغـي للمتلـبس بـه أن يذكر عنده أن اللهّ أكبر من كل شيء».

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٤٧٦٩ في صحيح الجامع، وحديث رقم: ٨٥١ في اللؤلؤ والمرجان.

والمعـــنى أن:

- **الله أكـبر** فضـلاً وكرمًـا مـن فضـلكم وكرمكم، فلئن قدمتم جهودكم وأموالكم فقد قدّم غفرانه ورضوانه وجنتـه.

- **الله أكـبر** قـدرًا وعظمـةً مـن أن تليـق بـه عبـادتكم وإن عظمـت في عيونكم؛ فلو أن كل من خُلق من لدن آدم إلى يوم القيامة كـانوا عـلى تقوى أعظم نبي ما زاد ذلك في ملكه شيئًا.

- **الله أكـبر** نِعَمًا مـن أن يحيط بهـا مخلـوق فيشـكره.. أو يحصـيها أحـد فيـؤدي حقـه.

- **الله أكبر** فتواضعوا.. **الله أكبر** فعظّموا أمر ربكم.. **الله أكـبر** فـاعلموا قـدر نفسـكم.. **الله أكـبر** فـلا يغـرركم عملكـم.. **الله أكـبر** فـارحموا المـذنبين وأسـعفوا المخطئين وأعينـوا الـذين اسـتزلهم الشـيطان دون عتـاب أو تكـبّر أو تعيـير.

قيمـــــة الوقـــــت

نتعلم ذلك من شعائر الحج، فكل عبادة لها وقت محدد، وقد يكـون الوقت أساس قبول العبادة، فمن فاته الوقوف بعرفة مثلاً فسد حجه،

ولزمه العودة من العام المقبل، ومعنى هذا أن اللحظة لها ثمن، وقد تدخل الجنة بفارق لحظة واحدة أطعت الله فيها، وقد تلج النار بعصيان لحظة واحدة رجّحَتْ كفة السيئات، فيغرس ذلك في نفسك قيمة الوقت، وأن حياتك ليست سوى بضعة أنفاس، فلا تعود تُضيِّع أوقاتك بعد اليوم سدى، بل تحرصُ على ما ينفعك ولا تصرفُ عمرك في ما يضُرّ.

إنها تربية الحاج كذلك بعد رجوعه من حجه على أداء الأعمال في أوقاتها، وتعويده الدقة والالتزام، والانضباط في المواعيد، إنها كذلك سرعة تنفيذ الأعمال الكثيرة في وقت قصير وسط ظروف صعبة وبدقة متناهية، فأعد حساباتك من اليوم، وأصلح ما فسد من حالك، وغيّر ما ساء من عاداتك، واستثمر هذا الموسم الجليل في تحويل النصوص والأشكال التعبدية إلى واقع عملي وأثر تربوي وسلوك تمشي به على الأرض.

بين لا أقدر ولا أريد

في آخر حجة لي حرصت على قضاء المناسك سيرًا على الأقدام وشاركني عدد غير قليل من الشباب، وقطعنا في الزحام الشديد ما لم نتخيل أننا قادرون على قطعه، وبدا لي في نهاية االرحلة أن كلمة

«لا أقـدر» هي في حقيقتها «لا أريـد»، وأن كثيرًا من ذرائع عدم القدرة هي في حقيقتها «عـدم الإرادة»، وأن مخزونًا هائلة مـن الطاقة البشريـة ينتظر من يكتشفه ويشعل فتيله، وإن موسم الحج هو الموسم الأمثل لإعادة اكتشاف النفس ومعرفة إمكاناتها.

بشراك أخي الحاج

لقد وُلدت ميلادًا جديدًا، وتركت وراءك ركام الذنوب، وودّعت ميراث العمر من الآثام، فليكن حجك أول فتوحك، وتباشيرَ فجرك، وإشراقَ صبحك، وبدايةَ مولدك، وعنوانَ توبتك، ونقطة التحول الفارقة في حياتك، واستأنف عملك من الآن، فقد كفاك الله ما مضى، ولم يبق إلا أن تصلح ما بقي، واعلم أنه ليس من شروط قبول حجك العصمة بعده؛ فليس من شرط ولي الله العصمة كما قال **ابن القيم**، ولا أنك ستتخلص بحجتك من بشريتك وتعرج في سماء الملائكة، فليس ذلك من مقدور أي من البشر، لكن حسبك أنك ستبدأ جولة جديدة من المعركة وأنت خفيف الظهر من معاصيك، فتستأنف حياتك برجاء كبير وعزم جديد وإقبال على الله عظيم.

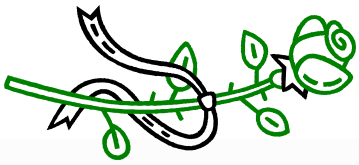

رحلة المشتاق

الحـج و العمرة

سادساً:

مختصر أحكام الحج والعمرة

مختصر أحكام
الحـــج والعمـــرة

أولاً: العمـــــــــــرة

أولاً: إذا أردت العمرة فاغتسل، ثم البس ثياب الإحرام وهي للرجل إزار ورداء، وتُحرم المرأة فيما شاءت من الثياب غير متبرجة بزينة ولا متعطِّرة، ثم تقول بعد ذلك: «لبيك عمرة.. لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، وتستمر في التلبية حتى تصل إلى مكة.

ثانيًا: إذا وصلت إلى مكة فَطُف بالبيت طواف القدوم، ويُسمّى

طواف الورود وطواف التحية؛ لأنه شرع للقادم والوارد من غير مكة لتحية البيت، ويسمى أيضًا طواف اللقاء، وأول عهد بالبيت، ويشترط لصحة الطواف: أن يكون الطائف على طهارة من الحدث الأصغر والأكبر؛ لأن الطواف مثل الصلاة غير أنه رُخِّص فيه الكلام..

فاجعل البيت عن يسارك، ثم طف سبعة أشواط تبتدئ من الحجر الأسود وتنتهي إليه، وإذا حاذيت الركن اليماني فاستلمه بيمينك إن تيسر، وقل: «بسم الله والله أكبر»، ولا تُقبِّله، فإن شَقّ عليك استلامه فاتركه وأكمل وامضِ في طوافك..

وليس في الطواف دعاء ولا ذكر مخصوص، بل ادعُ الله واذكره بما تيسر- من الأذكار والأدعية، وقل بين الركنين: «**رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ**» في كل شوط ؛ وارحم المسلمين من التدافع، ولا تغضب إذا دفعك أحدٌ، ويسن في طواف القدوم أمران:

(١) أن تضطبع ومعنى الاضطباع: أن يُدخِل الرجل رداءه الذي يلبسه تحت منكبه الأيمن، فيلقيه على عاتقه الأيسر وتبقى كتفه اليمنى مكشوفة، ويطلق عليه التأبط والتوشح.

(٢) أن ترمل في الأشواط الثلاثة الأولى.. والرَّمَل هو الهرولة والإسراع في المشي مع تقارب الخطى.

وبعد الطواف صَلِّ ركعتين خلف المقام قريبًا منه إن تيسر، ولو كان بعيدًا لا يضرك، بل لو صليت في أي مكان من المسجد الحرام فلا حرج عليك، واقرأ في الركعة الأولى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾، وفي الثانية: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾.

۞ **ثالثًا**: اشرب من ماء زمزم من عند البئر، أو من أي مكان من المسجد، وادعُ الله بما شئت من خيري الدنيا والآخرة.

۞ **رابعًا**: بعد ذلك اذهب إلى الصفا، فإذا دنوت من الصفا فاقرأ هذه الآية: ﴿ **إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ولا تقرأها إلا عند البداية فقط وقل: أبدأ بما بدأ الله به، ثم ابدأ بالصفا فارتق عليه حتى ترى الكعبة فاستقبلها، وارفع يديك كصفة الداعي وقل: «**الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.. لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**»، وادعُ بعد ذلك..

وافعل مثل ذلك إذا صعدت المروة، ثم امشِ إلى الأنوار الخضراء عن اليمين والشمال، وهي المعروفة باسم (الميل الأخضر)، ثم اسع

منه سعيًا شديدًا إلى العلم الآخر الذي بعده، ويسمى الخَبَب: وهو سرعة المشي بين الميلين الأخضرين، وهو سنة للرجل القادر عليه دون المرأة والعاجز.

۞ **خامسًا**: فإذا انتهيت من السعي، فاحلق شعر رأسك، والحلق أفضل من التقصير، والمرأة تُقصِّر من شعرها على قدر أنملة ؛ وبذلك تكون عمرتك قد تمت، فتتحلل من إحرامك، وتلبس ثيابك العادية.

ثانيًا: الحج للمتمتع

(١) اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية:

أحرِم بالحج من مكانك الذي أنت فيه سواء كان بمنى أو بمكة أو بغيرهما، واغتسل إن تيسر له ذلك، ثم البس ثياب الإحرام، ثم قل:

«لبيك حجًّا.. لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، ثم استمر في التلبية إلى أن تصل إلى منى، وصلِّ بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر قصرًا من غير جمع.

(٢) اليوم التاسع من ذي الحجة وهو يوم عرفة:

۞ إذا طلعت شمس يوم التاسع فسِر إلى عرفة، وصل بها الظهر والعصر جمع تقديم ركعتين ركعتين، وامكث فيها إلى غروب الشمس، وأكثر في هذا اليوم من ذكر الله والدعاء وقراءة القرآن مستقبل القبلة.

۞ إذا غربت الشمس فسر من عرفة إلى مزدلفة بهدوء وسكينة، فقد كان النبي ﷺ يقول: «**أيها الناس.. عليكم بالسكينة**»(١).

فإذا وصلت إلى مزدلفة فصَلِّ بها المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا، ثم بت إلى الفجر، فصل صلاة الفجر في أول وقتها، ثم امكث للدعاء والذكر إلى قرب طلوع الشمس.

۞ ويجب أن تبقى في مزدلفة في أي مكان منها جزءًا من الليل ولو قدرًا يسيرًا، والسنة المبيت فيها، فإن كنت ضعيفًا لا تستطيع المزاحمة أو معك ضعفاء، أو شق عليك المبيت بمزدلفة، فادفع منها في آخر الليل إلى منى، وإن دفع غير الضعفاء جاز ذلك، وذهبوا إلى الحديث الصحيح الذي قال فيه النبي ﷺ: «**من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهارًا فقد تم حجه وقضى تفثه**»(٢).

۞ ويجوز لك أن تأخذ الحصى من مزدلفة أو من أي مكان آخر، ويكون الحصى صغيرًا في حجم حبة الفول.

---

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ١٦٨٩ في صحيح أبي داود.
(٢) (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٣٢١ في صحيح الجامع.

(٣) اليوم العاشر من ذي الحجة وهو يوم النحر أو يوم الحج الأكبر:

۞ فإذا وصلت إلى منى فإن أول ما تبدأ به رمي **جمرة العقبة**.. وهي أقرب الجمرات إلى مكة، فارمها بسبع حصيات متعاقبات كل واحدة بعد الأخرى، وكَبِّر مع كل حصاة قائلاً: «الله أكبر».

۞ ثم بعد ذلك اذبح هديك وكُل منه، ووزِّع على الفقراء.

۞ بعد ذلك احلق رأسك أو قصره، والحلق أفضل، والمرأة تقصر منه بقدر أنملة.

۞ وهذه الأشياء الثلاثة: الرمي والذبح والحلق تُعمل بهذا الترتيب: (الرمي، ثم الذبح، ثم الحلق) إن تيسر، وإن قدّمت بعضها أو أخّرتها فلا حرج عليك، فالترتيب هنا سنة.

۞ بعد الرمي والحلق أو التقصير تحلل التحلل الأول، فالبس ثيابك ويحل لك عندها جميع محظورات الإحرام إلا زوجتك.

۞ انزل بعد ذلك إلى مكة، وطُفْ بها «**طواف الإفاضة**» وهو طواف الركن، ويُسمى أيضًا طواف الزيارة؛ لأنك تأتي من منى فتزور البيت ولا تقيم بمكة بل ترجع إلى منى، ثم اسعَ بعد ذلك بين الصفا والمروة سعي الحج، وإذا فعلت ذلك تحللتَ التحلل الثاني، وهنا تحِلّ لك زوجتك.

(٤) اليوم الحادي عشر من ذي الحجة (أول أيام التشريق):

وأيام التشريق هي الأيام المذكورة في قول الله تعالى: ﴿ **وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ** ﴾ [البقرة: من الآية ٢٠٣]، وسُمِّيت أيام التشريق لأن الحجاج كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحي أي ينشرونها ويقددونها في الشمس. وعليك في هذه الأيام أن تبيت معظم الليل بمنى، وفي هذا اليوم ترمي الجمرات الثلاث، كل واحدة منها بسبع حصيات.. تبدأ بالجمرة **الصغرى** ثم التي تليها، ثم التي تليها، وفي الأمر سعة: ارم بعد العصر أو بعد المغرب، بل حتى بعد منتصف الليل، وإياك أن تؤذي نفسك أو تؤذي المسلمين، ويستحب التكبير مع كل حصاة، والدعاء بعد الجمرة الأولى والثانية وأنت تستقبل القبلة، ولا وقوف بعد الجمرة الأخيرة.

وقد شُرِع رمي الجمار لإقامة ذكر الله، ومن ذكر الله أن تحافظ على الصلوات الخمس مع الجماعة وتكثر من قراءة القرآن، ويسن كذلك كثرة التكبير بعد الصلاة، وأن تكبر الله في كل حال وزمان في الأسواق والطرقات، كما كان يفعل **عبد الله بن عمر** ﷺ وغيره من الصحابة.

(٥) اليوم الثاني عشر من ذي الحجة (ثاني أيام التشريق):

ارمِ الجمرات الثلاث بعد الزوال بسبع حصيات لكل جمرة، ويمكنك أن لا تبقى إلى ليلة الثالث عشر من ذي الحجة، فتتعجّل

وترجع من منى قبل غروب شمس يوم الثاني عشر من ذي الحجة، ويُسمّى هذا اليوم (**يوم النفر الأول**)؛ لأنه يجوز النفر فيه لمن تعجل.

(٦) اليوم الثالث عشر من ذي الحجة (ثالث أيام التشريق):

ارمِ الجمرات الثلاث بعد الزوال بسبع حصيات لكل جمرة كما تقدّم، فإذا فرغت من الرمي فقد انتهيت من مناسك الحج، فانفر إلى مكة، وأقم فيها ما شاء الله لك، ويُسمّى هذا اليوم (**يوم النفر الثاني**).

(٧) طواف الوداع (طواف آخر العهد):

قبل الرجوع إلى البيت طف طواف الوداع بالكعبة لقوله ﷺ: «**لا ينفرنّ أحدكم حتى يكون آخر عهده الطواف بالبيت**»[1]، إلا أنه خُفِّف عن المرأة الحائض، فالحائض ليس عليها طواف وداع.

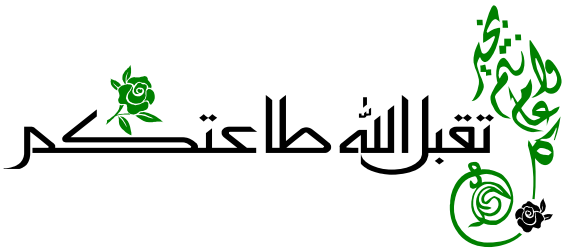

(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٨٠٥ في صحيح الجامع.

إيـاك.. ثم إيـــاك

ابتـدأك بالفضـــل فدعـــاك إلى زيارتـــــه

واستقبلك في بيتـه، وأنعم عليك بمغفرتـــه

ثم بعد أن عقد الصلح معك ترجع لمعاداتـه!!

وبعـد أن عاهدتـــه على خِاعتـــه تغـــدر!!

وبعـــد أن وعدتـــه باستقامتـــك تنكـــث!!

رجمـــت إبليـــس ثـم تعـود لصداقتـــه!!

أنـــت الآن أشبـــه ما تكـون بالملائكـة ثم تقلّـد الشيـــاخين!!

اغتسـلت مـن ذنوبـك بدمعك ثم تلطّـخ إيمانـك بـــوزرك!!

أتعيـد سيرتـك الأولى من المعاصي والآثام؟

وقد مُحيت عنك ذنوب عشرات الأعوام؟!

لـو لـم تـذق حـلاوة الإيمـان لعذرتـــــك،

لكنـــك عرفتهـــا فكيـــف تنكـــص؟!

أشهدتَ الله على نفسك أمام الملأ أنك عليه مقبل فكيف تدبر؟!

اعتـدت القـــرب مـن الحبيـب فكيـف الصبر على الفـــراق؟!

أصعـــب الفقـــر مـا كـــان بعـــد غـــنى..

أوحـــش الـــذل مـا حصـل بعد العـــــز..

أقبـــح الذنـــب مـا جـــاء بعـــد التوبـــة..

الموجـــز في ثـــلاث كلمـــــــات:

دواؤك في دوامـــك

تذكـر أنـك قريـب العهـد بربـك فقد عـدت بـلا ذنـــوب

فابتســـم لحياتـــك الجديـــــــــــدة

واستنشـق عبيـر الإيمـان واملأ به صـدرك

وتحـرر من أسـر الكآبـة والأحـزان إلى الأبـد

أنت الآن في أخهر حالاتك وأدناها من القبـول

فاحرص على أخشع الدعوات وزينها بالدموع

وتعمّدني بدعـوة بظهـر الغيـب.. أن يجمعنا الله في الفردوس

إنـــه ولـــي ذلك والقـــــادر عليـــــــه..

وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله رب العـالمين،،،

بيّـــض الله وجهـــه ووقـــاه حسـرة الفـوت يـوم أن يلقـاه

أسكـن الله مـن قـال آمـــين جنة الفردوس واستجاب دعاه

كتبه حامدًا مستغفرًا

الفقير إلى عفو ربه ورضاه

قائمة المراجع

أولاً: القـــرآن وتفسيـــــره

(١) الجامع لأحكام القرآن.. القرطبي.

(٢) الكشاف.. الزمخشري.

(٣) تفسير الشعراوي.. محمد متولي الشعراوي.

ثانيا: الحديـث وشروحـــــه

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري.. ابن حجر العسقلاني.

(٥) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.. محمد فؤاد عبد الباقي.

(٦) فيض القدير.. عبد الرؤوف المناوي.

(٧) صحيح الجامع الصغير.. الألباني.

(٨) صحيح ابن ماجة.. الألباني.

(٩) صحيح أبي داود.. الألباني.

(١٠) صحيح الترغيب والترهيب.. الألباني.

(١١) السلسلة الصحيحة.. الألباني.

(١٢) ثالثًا: الأخلاق والتزكية

(١٣) إحياء علوم الدين.. أبو حامد الغزالي.

(١٤) شعب الإيمان.. أبو بكر البيهقي.

(١٥) الأخلاق والسير.. ابن حزم الأندلسي.

(١٦) مدارج السالكين.. ابن قيم الجوزية.

(١٧) الوفا بتعريف حقوق المصطفى.. القاضي عياض.
(١٨) آداب النفوس.. الحارث بن أسد المحاسبي.
(١٩) مختصر منهاج القاصدين.. ابن قدامة المقدسي.
(٢٠) زاد المعاد.. ابن قيم الجوزية.
(٢١) لطائف المعارف.. ابن رجب الحنبلي.
(٢٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب.. ابن قيم الجوزية.
(٢٣) الشوق والحنين إلى الحرمين.. د. محمد موسى الشريف.
(٢٤) قصص وطرائف من الحج في القرون السوالف.. د. محمد موسى الشريف.
(٢٥) في رحاب الحرم.. د. عمر عبيد حسنة.
(٢٦) عبادات المؤمن.. عمرو خالد.
(٢٧) رسائل إلى الحجيج.. د. سفر الحوالي.
(٢٨) البوارق المرعية المرئية في العمرة المرضية ومناسك الحج العلية.. رضا أحمد صمدي
(٢٩) الحج آداب وأسرار ودروس.. محمد بن إبراهيم الحمد.
(٣٠) المنهاج في يوميات الحاج.. خالد بن عبد الله بن ناصر.
(٣١) رسالة الحج فلسفته وأسراره.. حافظ بك عامر.
(٣٢) زاد الراحلين إلى الحرمين الشريفين.. د. محمد علي دولة.
(٣٣) أمل المشتاق إلى دار الأشواق.. د. فتحي بن أحمد غريب.
(٣٤) الرياض النضرة في فضائل وفتاوى الحج والعمرة.. د. سيد العفاني.
(٣٥) صلاح الأمة في علو الهمة.. د. سيد العفاني.

رابعًا: الأعـــلام والسيـــــر

(٣٦) البداية والنهاية.. ابن كثير.
(٣٧) حلية الأولياء.. أبو نعيم الأصفهاني.
(٣٨) أحمد بن حنبل.. ابن الجوزي.
(٣٩) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء.. د. محمد موسى الشريف.

خامساً: الفقـــــــــــــه

(٤٠) فقه السنة.. السيد سابق.

(٤١) فقه الحج والعمرة.. حسن أيوب.

(٤٢) مناسك الحج والعمرة.. الألباني.

(٤٣) الموسوعة الفقهية.. وزارة الأوقاف الكويتية.

سادساً: الشعـــــــــــــر

(٤٤) من وحي فلسطين.. عمر بهاء الدين الأميري.

(٤٥) مع الله.. عمر بهاء الدين الأميري.

(٤٦) مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية.. عبد اللطيف الجوهري.

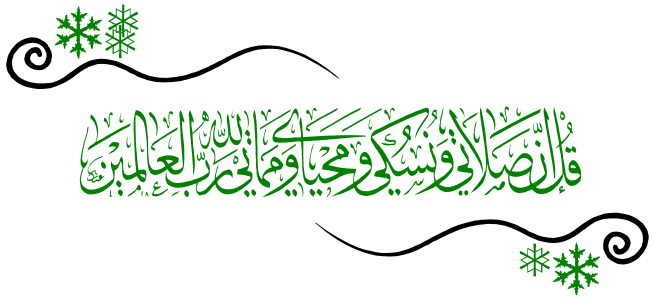

قائمة المحتويات

- خمس دقائق فقط ٣
- أيام هي الحياة ٥
- بين يدي هذه الرسالة ٧
- أهداف الكتاب السبعة ١٠

أولاً: فضل الحج والعمرة ١٧

- فضل العمرة وثوابها ١٩
- فضل الحج وثوابه ٢٢

ثانيًا: قبل الرحلة ٣١

- عبادات قلبية ٣٣
  - ← الفهم ٣٣
  - ← التوبة ٣٥
  - ← الشوق ٣٦
  - ← العزم ٤٠
  - ← قطع العلائق ٤٤
- واجبات تنفيذية ٤٥
  - ← قضاء الديون ٤٥
  - ← ردّ المظالم ٤٦
  - ← رد الودائع ٤٦
  - ← كتابة الوصية ٤٦
  - ← توديع الأهل ٤٧

ثالثًا: أسرار الحج والعمرة	٤٩
شراء ثوبي الإحرام	٥٣
الإحرام من الميقات	٥٦
الاغتسال	٥٧
التلبية	٥٨
دخول مكة	٦٦
دخول المسجد الحرام	٦٩
الطواف بالبيت	٧١
استلام الحجر الأسود	٧٤
الالتصاق بالملتزم	٧٨
الصلاة في مقام إبراهيم	٧٩
الشرب من زمزم	٨٠
السعي بين الصفا والمروة	٨٢
الحلق	٨٤
يوم التروية	٨٥
الوقوف بعرفة	٨٦
متى تدعو في حجتك	٩١
التوجه إلى مزدلفة	٩٨
رمي الجمار	١٠٢
ذبح الهدي	١٠٧
المبيت بمنى	١٠٨
طواف الوداع	١١١
رابعًا: في ضيافة الحبيب	١١٥
زيارة المدينة	١١٧
ليس الحب كلامًا	١٢٧

خامسًا: اقطـــــف الثمـــــرات	١٣٧
تربيـــــة أخلاقيـــــة	١٣٩
توحيـــــد الأمـــــة	١٤١
التضحيـة في سبيـل الديـــن	١٤٢
الاستسلام الكامل والعبودية المطلقة	١٤٣
الجوهـــــر لا المظهـــــر	١٤٤
الفخـــــر الحقيقـــــي	١٤٥
رب الشهريـــــن واحـــــد	١٤٦
الـــدوام علامـــة القبـــول	١٤٧
ارجـــع أكثـــر تواضعـــًا	١٤٨
قيمـــــة الوقـــــت	١٤٩
سادسًا: مختصـر أحكـام الحـــج والعمـــرة	١٥٣
أولاً: العمـــــــــرة	١٥٥
ثانيًا: الحـــــج للمتمتـــــع	١٥٨
← يـــــوم التروية	١٥٨
← يـــــوم عرفـــــة	١٥٩
← يـــــوم النحـــــر	١٦٠
← أول أيـام التشريـــــق	١٦١
← ثاني أيـام التشريـــــق	١٦١
← ثالث أيـام التشريـــــق	١٦٢
← طـــــواف الـــــوداع	١٦٢
إيـــــاك.. ثـم إيـــــاك	١٦٣
مراجـــــع الرحلـــــة	١٦٥
فهـــــرس الرحلـــــة	١٦٩
صـــــدر للمؤلـــــف	١٧٣

أولاً: الكتـــــــــــب:

١) **شباب جنان (كتاب + كتيبات متفرقة):**
(سلامة قلبك ـ غرامة تأخير ـ أحلى صحبة ـ نقطة رجوع)

سلسلة تستهدف الشباب، فالشباب بذرة غالية منحها الله لكم يا شباب، وترك لكم أن تختاروا الأرض التي تبذرون فيها:

إما الأرض الطيبة وهي بيئة الخير على أن ترعوها وتتعاهدوها بغيث الإيمان وزاد الخير، وتحموها من الآفات والمهلكات، وإما أن ترموا بها في أرض بور هي صحبة الشر؛ حيث لا ماء يروي القلب ولا هواء ينعشه ويغذِّيه.

والثمرة الأكيدة: شجرة ساقها من ذهب في الجنة تستظلون تحتها، أو شجرة زقوم ملتهبة في جهنم تُعذَّبون بها، ولكم وحدكم مطلق الاختيار.

٢) **معًا نصنع الفجر القادم:**

كتاب يبث الأمل في القلوب ويبشِّر بحتمية الانتصار عن طريق إشاعة: خماسية الألم، وخماسية الأمل، وخماسية السُّنن، وخماسية العمل، وخماسية الهمم.

٣) **ردَّ إليَّ روحي (بجزيه: بأي قلب نلقاه وجرعات الدواء):**

موسوعة قلبية شاملة موضوعها القلوب، وتتناول قصة قلب أصيب بأمراض خطيرة أوشك معها على الهلاك، فأُدخِل العناية المركزة الإيمانية، وهناك امتنع عن كثير من آفات عديدة كانت سبب مرضه، ثم تلقى جرعات دواء مكثفة قارب معها على الشفاء، لكنه تعرض لانتكاسة مفاجئة أنقِذ منها في آخر لحظة، ثم واظب على العلاج حتى أتم الشفاء، وأنهى فترة النقاهة، ثم خرج بفضل الله أقوى وأفضل مما كان، يُداوي ويشفي بإذن الله غيره بعدما تداوى وشُفِي.

٤) **هبي يا ريح الإيمان (كتاب + كتيبات متفرقة)**:
كتاب يحوي عشر نسمات تهدف إلى زيادة الرصيد الإيماني ودعم الذاتية التعبدية.

٥) **سباق نحو الجنان**:
كتاب يتناول صفات القلوب المتسابقة نحو الآخرة، ورسوم الاشتراك في السباق، مع ذكر الواحات التي تأوي إليها القلوب، والعقبات التي تعترضها، مع وصايا عشر تساعد على البدء فورا في السباق.

٦) **صفقات رابحة (كتاب + كتيبات متفرقة)**:
عشر صفقات تعبِّر عن عشر عبادات متنوعة تتضمن كل صفقة منها: تسهيلات الصفقة أي ما يعينك عليها، وأرباحها وتشمل ثوابها الذي يدفعك إليها، والشروط الجزائية.

٧) **رحلة البحث عن اليقين**:
يتناول معنى اليقين، وكيف غرس النبي ﷺ اليقين، والعقبات التي تحول دونه، وتوائم اليقين، وكيف الوصول إليه.

٨) **أول مرة أصلي**:
وهو هذا الكتاب الذي بين يديك، وهي رائعة من روائع ابن القيم، هذَّبتها وبسطَّتها وشرحتها وأضفت إليها أضعاف معانيها، لتجعل بإذن الله لصلاتك طعما آخر ومذاقا أروع، وستحس أنك لم تكن تصلي قبلها، فشتان ما بين صلاتك هذا الكتاب وصلاتك بعده، ومن هنا جاء اسم الكتاب، لأنها تجربتي الشخصية معه التي أردت أن أنقلها لك، ولا أحرمك منها مثقال ذرة، فأقبل على حياتك الجديدة في ظل صلاتك اللذيذة الممتلئة بالمعاني الجليلة.

٩) **ونطق الحجاب**:
وهي رسالة تخاطب الأخت المسلمة تعلمها االطريق إلى أفضل حجاب من خلال سردها لثمرات الحجاب المزهرة، وأشواك التبرج المهلكة، ويركِّز الكتاب على الحجاب كسلوك قبل أن يكون زيًا.

١٠) **يا صاحب الرسالة**:
كتاب يخاطب من حمل دعوة الإسلام، واحترق قلبه كمدا على حال أمتنا، فأضاء بهمته ما حوله، وفي الكتاب: علامات حمل هذا الهَمِّ النبيل، وكيف يُقدِّم صاحب الرسالة الدعوة في

اختياراته من اختيار زوجة وبذل وقت، وكيف يضمن أن لا تفارقه في أي من لحظات حياته، وما هي الحواجز التي تحول بينه وبين هذا الهدف النبيل، وما الذي يجعل الخير ينتفض من بين جوانحه تهيب بالناس أن يهتدوا، ويلتحقوا بالركب المبارك والقافلة التي يقودها سيد الكونين محمد ﷺ.

ثانياً: الإصدارات الموسمية:

١١) المهاجرون الجدد:

دروس ثمانية من الهجرة من تمثَّلها نال أجر المهاجرين وإن لم يقطع الصحارى والقفار.

١٢) المهاجر:

رسالة صغيرة الحجم مطبوعة في ٢٤ صفحة، بمناسبة العام الهجري الجديد، تتناول معنى الهجرة وأثرها في حياة المسلم بنظرة مختلفة، وخطة عمل تفصيلية عن كيفية الإقلاع عن الذنوب ومحفزات ذلك. وتهدف إلى بدء عام جديد بقلب أنقى وعهد جديد مع الله عز وجل.

١٣) من الطارق:

هو كتاب يتناول شهر رمضان كزائر عزيز، معه الهدايا الغاليات، والتي تتطلب منا رد الجميل من قيام ودعاء وقرآن.

١٤) رمضان ثورة التغيير:

كتاب رمضاني يستهدف تعظيم الاستفادة من رمضان باعتباره ثورة حقيقية في كل مجالات الحياة: العاديات والعبادات والسلوكيات والعلاقات، ويستهدف اغتنام رمضان في تغيير لا يتاح في غيره من الأشهر لبركة.

١٥) الاعتكاف .. تربية الأيام العشرة:

يتحدَّث عن مقاصد الاعتكاف العشرة، مع إبراز أفضل عبادات المعتكف، والتعرُّض لسموم الاعتكاف أي محظوراته.

١٦) سهام الخير .. عشر ذي الحجة:

يحوي عشر عبادات موزّعة على الأيام العشر مع التحدُّث عن فضائل هذه العبادات، مع تمهيد بفضل هذه الأيام.

١٧) رحلة المشتاق .. العمرة:

كتاب جديد في موضوعه يحوي فوائد جمّة ومعاني غزيرة تكشف الأسرار الباطنة للعمرة.

١٨) رحلة المشتاق .. الحج والعمرة:

كتاب يشمل أسرار العمرة إضافة إلى أسرار من الحج، وهو ضعف كتاب العمرة تقريبا، وفيه قرابة ضعف فوائده.

١٩) (١٠×١٠).. لمن فاته الحج هذا العام:

رسالة صغيرة الحجم مطبوعة في ٢٤ صفحة، بمناسبة أيام العشر الأوائل من ذي الحجة.. التي هي أعظم أيام الدنيا.. وهي تتحدث عن عشر عبادات هامة تملأ هذه الأيام المباركة.

ثالثاً: قريباً:

٢٠) بيني وبين ربي:

كتاب يتناول العلاقة بين العبد وبين الله، وذلك عن طريق تتبع الآيات والأحاديث التي تتناول الإحسان والرضا والمحبة والنصرة وغيرها، مع شرح ما يكون منها من الله وما يكون من العبد، والفارق الشاسع بينهما.. مما يورث العبد عبادة الله بحب وشوق وحياء.

٢١) المعركة الأخيرة:

كتاب يهدف إلى تجسيد عداوة الشيطان لديك إلى عداوة حسية ملموسة، وعلى شكل معركة؛ لأن هذه هي حقيقة العلاقة بينك وبينه، وذلك عن طريق استعراض عداوة الشيطان التاريخية لك، واستعراض أسلحته والأسلحة المضادة لمواجهة كل سلاح من أسلحته، مع وضع خطة تفصيلية خطوة بخطوة للتغلب عليه ودحره ذليلاً صاغرًا.